

٦٩  
المجلد

ISSN 2347-2456

شعارنا الوحيد إلى الإسلام متجدد



# البُشْرِ إِلَسْلَامِيُّ

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الثاني - المجلد التاسع والستون - رجب ١٤٤٤ هـ - فبراير ٢٠٢٣ م

- حاجتنا إلى الإسلام في عصرنا الحاضر! (افتتاحية العدد)
- معاني الإسراء والمعراج العميقه ومراميمها البعيدة
- أعمال الإنسان في الدنيا والآخرة
- العلم أساس الاستخلاف وسبيل السيادة
- فلسفة النظافة لوقاية الإنسان من الأوبئة والأسقام
- الاستنساخ من منظور إسلامي
- دور العرب في التجارة البحرية
- القيمة الخلقية والتربوية في كتابات العالمة أبي الحسن علي الندوبي الأديبية
- عالم يتعجل إعدامه ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم
- من الفن إلى الدعوة

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب. ٩٣، لكناؤ. الهند

If undelivered please return to:

Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,

Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.

Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com



٦٩  
المجلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شعارنا الوحدة إلى الإسلام من جديد



# البعض الباقي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

February 2023

فبراير ٢٠٢٣ م

العدد الثاني - المجلد التاسع والستون - رجب ١٤٤٤ هـ - فبراير ٢٠٢٣ م

## ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر ، وأن يزداد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، وحاجات المسلمين وأحوالهم .  
الإمام العلامة الشيخ أبوالحسن على الحسني الندوى (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية  
الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى  
في عام: ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م

الشرف العام

العلامة السيد

محمد الرابع الحسني الندوبي

رئيس التحرير

سعید الأعظمي الندوی

مدير التحرير

محمد فرمان الندوی

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوبي

المراسلات

البعض الباقي

مؤسسة الصحفة والنشر

ص.ب. ٩٣. لكناو (الهند)

**AL-BAAS-EL-ISLAMI**

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg,

Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

## محتويات العدد

العدد الثاني - المجلد التاسع والستون - رجب ١٤٤٤هـ - فبراير ٢٠٢٣م

- ❖ الافتتاحية :
- ٥ سعيد الأعظمي الندوبي حاجتنا إلى الإسلام في عصرنا الحاضر !
- ❖ التوجيه الإسلامي :
- ٩ الإمام الشیخ السید أبي الحسن علی الحسني الندوی معانی الإسراء والمعراج العمیقة ومرامیها البعيدة
- ١٢ سماحة الشیخ السید محمد الرابع الحسني الندوی أعمال الإنسان في الدنيا والآخرة
- ❖ الدعوة الإسلامية :
- ١٨ الأستاذ عبد القادر دغوتی العلم أساس الاستخلاف وسبيل السيادة
- ٢٢ د . عبد الوهيد شیخ المدنی فلسفة النظافة لوقاية الإنسان من الأوبئة والأسقام
- ٢٩ الأستاذ محمد سلمان الندوی الجنوبي الإكثار من تلاوة القرآن الكريم وجائزته من الله تعالى
- ٣٣ الأخ محمد دانش أنور شبہة أن النبي صلی الله علیه وسلم لم يأت بجديد ....
- ❖ الفقہ الإسلامي :
- ٤١ د . خورشید أشرف إقبال الندوی الاستسخ من منظور إسلامي
- ❖ دراسات وأبحاث :
- ٤٦ د . محمد أيوب الندوی دور العرب في التجارة البحرية
- ٥٣ الدكتور عبد القديوس الندوی في كتابات العالمة أبي الحسن علی الندوی الأدبية
- ٦١ أ . د . محمد ثناء الله الندوی من أبعاد التواصل في الآداب العالمية : سردیات الإسراء بين المعرب ودانشی وغوطه وإقبال
- ٧١ الباحث لقمان أحمد يعقوب الزمخشري وتأبید " لن " دراسة نقدية تحلیلية
- ❖ رجال من التاريخ :
- ٨٢ الدكتور غريب جمعة عالم يتجلّل إعدامه ليلحق برسول الله صلی الله علیه وسلم
- ❖ دراسة شعرية :
- ٨٨ الأخ عمر رياض ابن الفاراض في ضوء ديوانه
- ❖ صور وأوضاع :
- ٩٣ محمد فرمان الندوی من الفن إلى الدعوة
- ❖ أخبار علمية وثقافية :
- ٩٧ الأستاذ محمد علی شفیق الندوی قرارات الندوة الفقهية حول قضایا كورونا والقروض الحكومية
- ❖ إلى رحمة الله تعالى :
- ١٠١ قلم التحریر ١. الأستاذ فضل الرحمن الندوی إلى رحمة الله تعالى
- ١٠١ " " " ٢. الأستاذ محمد عظیم خان الندوی إلى رحمة الله تعالى
- ١٠١ " " " ٣. الأستاذ شیبر احمد الندوی في ذمة الله تعالى
- ١٠٢ " " " ٤. والد الطبیب محمد عامر جمال إلى رحمة الله تعالى

## حاجتنا إلى الإسلام في عصرنا الحاضر !

ذلك الانقلاب التاريخي العظيم الذي يبتدىء به تاريخ الحياة الإنسانية لا يمكن فصله عن ظهور آدم عليه السلام الذي جعله الله سبحانه وتعالى أساساً لعمaran العالم البشري ، وقد تحدث الله سبحانه وتعالى أمام الملائكة الكرام الذين عاشوا في الدرجة السماوية بأمر من الله تعالى مركزين جهودهم وطاقاتهم في عبادة الله تعالى من فوق السموات ، فقد تحدث الله أمامهم بأنه جاعل في الأرض خليفة ، ولعل هذا الحكم الرباني السماوي لم يلق منهم قبولاً وقالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ، ونقross السماوات ، ولكن الله سبحانه لم يرض بعذر وقال : " إني أعلم ما لا تعلمون " .

وقد تحدث الله سبحانه في كتابه العظيم حول هذا الموضوع الذي كان يختص بكون الإنسان خليفة في الأرض ، فخاطب الملائكة مخبراً إياهم بهذه الحقيقة التي لها علاقة بخلائق الأرض ، الواقع الذي أخبرنا الله به في كتابه العظيم الأخير الذي نزله على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد تحدث عن ذلك فقال : ( وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ) .

إن هذا الحوار المهم من الله تعالى إلى الملائكة يعتبر أول أساس لمنح الخلافة في العالم الأرضي إلى ذرية آدم عليه السلام ، رغم إنكار الملائكة لهذه الخلافة وتأكيدهم بأننا نسبح بحمدك ونقross لك ، فرد الله تعالى عليهم بكلمة واحدة وهي ( إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ) .

من هنا كان الإنسان واسطةً بين الخلق والخالق ، فكان يجب عليه أن يعتز بهذه الجائزة الغالية ويترقب أوامر الله سبحانه ويطبقها على نفسه وعلى العالم البشري في كل ما بينه الله تعالى في كتابه العظيم ، القرآن الكريم الذي هو الأول والآخر مما أوحى به إلى الأنبياء السابقين ، فقد أنزله الله تعالى على آخرنبي لأمة الإسلام الباقي إلى يوم الدين ، والعائشة في تطبيق تعاليمه على الحياة للذكور من هذه الأمة وإناثها ، وهي تعاليم إنسانية تطبق على الرجال والنساء من أهل الإيمان في ضوء التعاليم الإلهية التي تعم الذكور والإناث حسب الصفات والوظائف التي يبينها كتاب الله تعالى وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد تعامل عليها المسلمون من عهد نبينا عليه الصلاة والسلام إلى ما شاء الله تعالى من المستقبل الباقي إلى يوم الدين .

إن التاريخ المستمر للإنسان قد فرض عليه مسؤوليات إيجابية في ضوء الكتاب والسنة ، ذلك الدستور السماوي الذي يعلم الساكنين في هذه المعمورة التمييز بين ما أمره الله به من معروف ومنكر ، فأمر بأداء ما له علاقة مما يرضي الله ورسوله من صالح الأعمال والانصراف عما ينكره ولا يرضاه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

فلما أراد الله سبحانه أن يملأ هذا الفراغ من الإيجاب والسلب ، ويميز بينهما أخبر بذلك الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم ، وذكر الموضوع بكماله في كتابه الأخير الذي سماه القرآن الكريم ، ذلك الكتاب الذي جمع بين التبشير والإندار ، فقال تعالى : ( إنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيَنْهَا مُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا . وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا . وَيَدْعُ إِلَيْنَا إِنْسَانٌ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ إِلَيْنَا إِنْسَانٌ عَجُولًا ) .

فكان العمل الصالح هو الرائد الأول إلى الطريق الأقوم

السليم وبعث بشائر خالصة للأجر العظيم الذي هو الطريق نحو النجاة من كل عذاب أليم ، من ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداً ومبشراً ونذيراً داعياً إلى الله بإذنه سراجاً منيراً ، فلولا وجوده في العالم الأرضي في مكة المكرمة لكان الناس يتبعون في الأرض ويعيشون في ظلام حalk ، لأنهم كانوا قد تعودوا ظلام الكفر والابتعاد عن النور الذي أنزله الله تعالى بنبيه ( صلى الله عليه وسلم ) الذي كان نوراً فوق كل نور إلى يوم الدين ، وكان سراجاً منيراً أسرجه الله سبحانه لتتوير الظلام من العالم كله ، فكان النور الإلهي يعم جميع أركان العالم برأ وبحراً وليلاً ونهاراً ، ( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذَكْرٍ وَأَثْنَيْ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارُفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ خَيْرٌ ).

إن الأمة الإسلامية تعيش اليوم في ضوء هذا النور ويعيش معها الأمم والشعوب الأخرى - فلولا هذه الأمة الإسلامية وإن كانت قد فقدت ميزتها الأساسية وضعف فيها قوة الإيمان والعمل الصالح إلى حد كبير - ولكنها أمّة حية تشعر بضعفها وتقوم جماعات من هذه الأمة تبذل جميع إمكانياتها في سبيل إخراج الناس من الضعف الملموس إلى قوة الإيمان والعمل الصالح ، فليست هذه الجماعات من علماء الإسلام ولديست هذه المدارس والمؤسسات ولديست هذه المجهودات من التدريس والتعليم والتتأليف ونشر معالم الإسلام إلا سعياً حثيثاً في سبيل العلم والإيمان وصالح الأعمال ، وقد شغل الله سبحانه كثيراً من أهل العلم بأمور يعتبرونها من لوازم التفريق بين الصحيح والخطأ وبين ما هو المطلوب عند الله من عباده المؤمنين وبين ما لا قيمة له ، فليس ذلك إلا الدين الإسلامي وشرحه للمجتمع المسلم اليوم ، فأصبح من أجل ذلك ميسوراً لدى عدد من المسلمين أن يعتبروا

أنفسهم من جماعات أهل الإسلام ويعتقدوا في المناسبات أن وجود نعم الله تعالى يحمل أهمية كبيرة لدى جماعات الإسلام وأهله الصادقين . ومن ثم فقد الدين الإسلامي أهميته وأصالته في كل مكان يعيش فيه المسلمون ويتوافر فيه المراكز من كل نوع لخدمة الدين الإسلامي في أشكال جميلة مطلوبة عند الله تعالى ، ولذلك تزايد حاجتنا إلى معرفة جامعيته في كل إنسان ، إذ أنها لا نقدر على إبلاغ نعمة الدين الذي أرسله الله تعالى إلى العالم البشري عن طريق خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم في العالم المعاش بدون أن نكون مطهرين على هذا الجمع بين الدين والدنيا وواجباتهما بكل وضوح ويقين .

فكلنا يستطيع بكل سهولة أن يدرك موقفنا وموقف علماء الإسلام الأولين من الدين القيم الذي أنزله الله تبارك وتعالى عن طريق خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، الذي طبق جميع تعاليمه التي تتعلق بالحياة في الدنيا ، ولكن ذلك ضرورة أكيدة لنا في الآخرة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

من هنا فإن المسلمين من علماء الدين والممثلين له في الحياة ملزمون بإبلاغ الدين الإسلامي بوجه كامل إلى الناس في هذه المعمورة التي لا تنتهي بوجود الإنسان بل إنها لا تغrieve ولا تعم منافعها إلى كافة ما يعيش فيه الناس وما يتوافر في هذا العالم من أرواح وألات ونفوس وأدوات ، يقول الله تعالى : ( يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا وَبَأَنَّا لَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَاقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ) وصدق الله العظيم .

سعيد الأعظمي الندوبي

١٤٤٤/٦/٢١

٢٠٢٣/١/١٤

## معاني الإسراء والمعراج العميقه ومراميها البعيدة

بعلم الإمام الشیخ السید أبي الحسن علی الحسني الندوی رحمه الله

لم يكن الإسراء مجرد حادث فردي بسيط ، رأى فيه رسول الله صلی الله علیه وسلم الآيات الكبیری ، وتجلت له ملکوت السماوات والأرض مشاهدة وعياناً - بل زيادة إلى ذلك - اشتتمت هذه الرحلة النبوية الغیبية علی معان عمیقة دقیقة کثیرة ، وإشارات حکیمة بعيدة المدى ، فقد ضمت قصة الإسراء وأعلنت السورتان الكريمتان اللتان نزلتا في شأنه ، وتسمی سورة (الإسراء) وسورة (النجم) أن محمدًا صلی الله علیه وسلم هو نبی القبلتين ، إمام المشرقين والمغاربین ، ووارث الأنبياء قبله ، وإمام الأجيال بعده ، فقد التقى في شخصه وفي إسرائیه مکة بالقدس ، والبيت الحرام بالمسجد الأقصى ، وصلی الأنبياء خلفه ، فكان هذا إيذاناً بعموم رسالته وخلود إمامته وإنسانیة تعالیمه ، وصلاحیتها لاختلاف المکان والزمان ، وأفادت هذه السورة الكریمة تعیین شخصیة النبی صلی الله علیه وسلم ووصف إمامته وقيادته وتحديد مکانة الأمة التي بعث فيها وأمنت به ، وبيان رسالتها ودورها الذي ستمثله في العالم ، ومن بين الشعوب والأمم .

**الإسراء والمعراج :**

أسرى برسول الله صلی الله علیه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى<sup>١</sup> ، ومنه إلى ما شاء الله من القرب والدُّنْو ، والسير في السموات، ومشاهدة الآيات، والاجتماع بالأنبياء : (ما زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكَبِيرِ )<sup>٢</sup>. فكانت ضيافة كریمة من الله ، وتسليمة

<sup>١</sup> روی البیهقی عن ابن شهاب الزہری أن الإسراء كان في السنة التي قبل الهجرة ، وروی الحاکم أن الإسراء كان قبل الهجرة لستة عشر شهراً ، واختلفت الأقوال في الشهر الذي أسرى به - صلی الله علیه وسلم - فيه ، فقيل : في ذی القعدة ، وقيل : في ربیع الاول ، وقيل غير ذلك ، والمشهور أن الإسراء كان في اللیلة السابعة والعشرين من شهر ربیع ، وقد اختاره الحافظ ابن سرور المقدسی ، وقد اتفقا على أنها كانت بعد ذهاب النبی صلی الله علیه وسلم إلى الطائف ، (ملخصاً من كتاب " خاتم النبین " للعلامة محمد أبو زهرة ج ١ ، ص ٥٩٦ ، الطبعة الأولى ١٩٧٢م ) .

<sup>٢</sup> القرآن الكريم ، سورة النجم ، وكتب الحديث والسيرة .

وجرأً للخاطر ، وتعويضاً عما لقيه في الطائف من الذلة والهوان ، والجفاء والنكران .

فلما أصبح غداً على قريش فأخبرهم الخبر ، فأنكروه ذلك ، واستعظموه وكذبوا ، واستهزأوا ، وأما أبو بكر فقال : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ؟ فوالله إنه ليخبرني أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار ، فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه <sup>١</sup> .

وجاء الإسراء خطأً فاصلاً بين الناحية الضيقية المحلية الموقته ، وبين الشخصية النبوية الخالدة العالمية ، فإن كان الرسول - عليه الصلاة والسلام - زعيم أمة ، أو قائد إقليم ، أو منقذ عنصر ، أو مؤسس مجد ، لم يكن في حاجة إلى الإسراء والمعراج ، ولم يكن في حاجة إلى سياحة في عالم الملائكة ، ولم يكن في حاجة إلى أن تتصل بسببه الأرض بالسماء اتصالاً جديداً ، لقد كان له في أرضه التي يعيش فيها وفي محيطه الذي يك足 فيه ، وفي مجتمعه الذي يسعى لإسعاده ، غنى وسعة ، لا يفك في غيره ، ولا يتجاوز إلى رقعة أخرى من الأرض فضلاً عن السماوات العلي ، وسدرة المنتهى ، وفضلاً عن المسجد الأقصى الذي يبعد

<sup>١</sup> سيرة ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٩٦ ، وسيرة ابن هشام ، ق ١ ، ص ٣٩٩ .

ذهب جمهور أهل السنة إلى أن الإسراء كان بالجسد والروح ، وأن أقوى القراءين والدلال على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما أعلن ذلك بين قريش فتن بعض الذين أسلموا ، وارتدى من ارتدى ، كما رواه ابن كثير ، ولو كان بالروح أو رؤيا رآها النبي صلى الله عليه وسلم ، لما كان في ذلك غرابة ، فالإنسان العادي يرى في المنام ما لا يصدقه الواقع ولا يخطر بخلد أحد ، ولقد ألف الناس في كل زمان ومكان الرؤى الغريبة والأحلام العجيبة ، ولا يسارعون إلى تكذيبها ، وقد روی منها كل غريب ، وشحنت به كتب الديانات وأخبار العظماء والنساك ، ولو كان ذلك مجرد عروج روحي ، أو قصة منام ، لبادر النبي صلى الله عليه وسلم إلى إخبارهم بأن ذلك وحي أوحى به إليه ، أو رؤيا رآها في المنام ، فضمموه إلى ما كانوا يسمعون منه صباح مساء ، من وحي يُوحى إليه وملك يأتيه فيكلمه ، فما أثار ذلك تلك الدهشة التي أثارها والتساؤلات الكثيرة التي بعثها ، فما هو بشيء جديد بالنسبة إليه .

ومن شاء التوسيع في هذا الموضوع وتحقيق ما اشتمل عليه من أسرار وحقائق حكم إليه ، وإشارات لطيفة ، وفوائد تشريعية : في ضوء الكتاب والسنة والعقل السليم فعليه بفضل " الإسراء إلى المسجد الأقصى ومنه إلى سدرة المنتهى " في كتاب " حجة الله البالغة " ج ٢ ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الداهلي المتوفى سنة ١١٧٦ هـ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

عن بلده بعدهاً كبيراً ، والذي كان في ولاية الديانة المسيحية وحكومة الأمة الرومية القوية .

وجاء الإسراء ، وأعلن أن محمدًا صلى الله عليه وسلم ليس من طراز القادة والزعماء الذين لا تتجاوز موهابتهم ، وجهودهم ، ودوائر كفاحهم حدود الشعوب والبلاد ، ولا تسعدهم إلا الشعوب التي يولدون فيها ، والبيئات التي ينبعون منها ، إنما هو من جماعة الأنبياء والرسل الذين يحملون رسالات السماء إلى الأرض ، ويحملون رسالات الخالق إلى الخلق ، وتسعد بهم الإنسانية على اختلاف شعوبها وطبقاتها وعهودها وأجيالها .

#### فرض الصلوات :

وفرض الله عليه وعلى أمهاته خمسين صلاةً في كل يوم ، وما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله التخفيف ، حتى جعلها الله خمس صلوات في كل يوم وليلة ، من أداهن إيماناً واحتسباً كان له أجر خمسين صلاةً<sup>١</sup> .

#### تأثير الصلاة في الأخلاق والميول :

للصلاة تأثير في صرف النفس عن الأخلاق الرذيلة ، والفحشاء والمنكر ، والتمنع بالمتعة الرخيصة ، ليس بشيء آخر بعد كلمة التوحيد ، ولذلك يقول الله تعالى : (أَتَلِي مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) [العنكبوت : ٤٥] ، وذلك لأنها تصرف أصحابها من جهة إلى جهة ، ومن ذوق إلى ذوق ، ومن طلب إلى طلب ، ومن تقدير إلى تفكير ، ومن سفاسف الأمور إلى معاليها ، وتحبب إليه الإيمان ، وتزيقه في قلبه ، وتكره إليه الكفر والفسق والعصيان ، هذا ، إذا كانت الصلاة حقيقة تتدفق بالحياة ، وتفيض بالحرارة والقوة ، ولذلك لما فوجئ قوم شعيب بالدعوة إلى التوحيد ، والفضيلة والتقوى ، والإنكار على ما كانوا فيه من ظلم وبخس وتطفيق ، أقبلوا على حياة شعيب يلتمسون فيها مصدر هذا الانقلاب وهذا الاختلاف ، فقد ولد ونشأ فيهم كابن قبيلة وابن بلد ، والذي يردون إليه طبيعة هذا الخصم والنزاع ، فلم يجدوا في حياته شيئاً أوضح من الصلاة التي كانوا يشاهدونها ، ويعججون لحسنها وطولها ، فقالوا : (يَا شَعَّيبُ أَصَلَّوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَنْرُكَ مَا يَعْبُدُ أَباؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) [هود : ٨٧] .

<sup>١</sup> حديث طويل رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب "كيف فرضت الصلاة"

# أعمال الإنسان في الدنيا والآخرة

سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوى

تعریب : محمد فرمان الندوی

## الخالق الحقيقی :

يدعو الأنبياء وأمّهم إلى هذه الحقيقة أن الله هو الخالق الحقيقی ، ويقولون لهم : لا تتظروا إلى قدرة الله نظرة ازدرا وسخرية ، هذه هي حقيقة واضحة في رابعة النهار ، فإذا لم تؤمنوا بها لحقت بكم خسارة الدنيا والآخرة ، وأنتم تعتقدوناليوم أن كل ما دون الله يؤثر في أعمالكم ونشاطاتكم ، لكن الواقع أنه لا يحمل شيئاً من التأثير ، وكيف تظنون أن تمثلاً من حجارة يضركم وينفعكم ، واعلموا أن الله هو مالك كل شيء ، وهو الذي خلق كل شيء ، ومنح الإنسان نعمًا كثيرة ، ورزقه نعمة الحياة ، وما يوجد في الحياة من متطلبات وحاجات ، فهو يراقب عليها مباشرةً ، الحقيقة أن الإنسان إذا اعتقد أن الله هو الفاعل الحقيقی في كل شيء فلا يعصيه ، ونحن في هذه الحياة الدنيا نخاف من الشرطي ، والضابط الرسمي ، لأننا نعلم أنه يفعل ما يشاء حسب إرادته ، ولا يبالي بما نحمل من كفاءات ومواهب ، فلا يمكننا أن نخرق قانون البلاد ، ولا نعصي أمر رئيس المديرية أو ضباط الأمن .

فالله عز وجل إذا رأى من عباده الصالحين عملاً حسناً قام بتغيير يسير في نظام الدنيا ، لئلا يصاب عباده بأذى في الدنيا ، فيبدل الله ذلك الشر بالحسنة ، ذكر الله تعالى قصص بعض عباده في سورة الكهف ، وأخبر من خلالها وهو يخاطب الناس : اعلموا أن كل ما يكون في هذه الدنيا يكون وراءه قدرة الله تعالى ، فلا بد للعباد أن يرضوا الله تعالى ، وإنما تعود عليهم في الآخرة خسارة فادحة ، وذكر القرآن الكريم أن الآخرة لا ينفع فيها بيع ولا خلة ولا شفاعة ، فكيف ينجو الإنسان من عذاب الله تعالى ، ولا يكون هناك تغيير في نظام الله تعالى ، وكل ما يمكننا من الإيمان والعمل الصالح هو في هذه الدنيا ، ورزقنا الله هذه

الحياة لنعمل فيها عملاً صالحًا ، ونستحق الجنة ونعمتها ، وإذا لم يكن عندنا عمل لا نجد شيئاً مما أعده الله لنا في الجنة لعباده الصالحين .  
**أرض الحشر :**

لم يخلق الله أرض الحياة الأخرى مثل أرض الدنيا ، فقد أودع الله فيها من الأشياء التي يحتاج إليها الإنسان ، وهذه سنة الله في الأرض أن الإنسان إذا بذل جهده في حرثه ، أو غرس شيئاً أو زرع زرعاً أنبته الله نباتاً حسناً ، وأخرج له ثماره ، وإذا أنزل الله مطراً تاول منه الإنسان الماء لحرثه ، وهذا كلّه من الله ، لتبقى حياتنا ، لكن أرض الآخرة ليست كذلك ، وتكون أرض الآخرة جرزاً ، فلا ينبت فيها شيء ، لا شجر ، ولا ظل ، ولا تصلح هذه الأرض أن نزرع فيها ، ولا يكون هناك لباس يلبسه الإنسان ، ويكون جميع الناس عرابة بدون ثياب ، فإنهم حينما يعيشون من قبورهم لا يحملون شيئاً يلبسوه ، قالت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ! الرجال والنساء جمیعاً ينظرون بعضهم إلى بعض ؟ قال : يا عائشة ! الأمر أشد من أن يهمهم ذلك ( صحيح البخاري ، كتاب الرفاق ، باب كيف الحشر : ٦٥٢٧ ) .

ويكون الناس يوم القيمة في ساحة الحشر في حيرة ودهشة ، يفر بعضهم من بعض ، ولا ينظر رجل إلى امرأة ، كل يقول : نفسي ، نفسي ، وتكون حرارة الشمس أشد ما يمكن ، بل تكون الشمس فوق الرؤوس ، والناس يتسببون عرقاً ، لا يجدون ماءاً للشراب ، ولا مكاناً للجوء إليه ، ولا يجدون مواسياً ولا محامياً ، ويظهر العجز والمسكنة من كل إنسان : رجالاً كان أو امرأة ، حراً كان أو عبداً .  
**تذكرة وموعظة :**

ورد في القرآن والحديث بكل وضوح أن ساعة حاسمة ستأتي في الآخرة أمام الإنسان ، فيؤخره الله في الدنيا إلى أجل مسمى ، ويعنجه هذه الحياة الدنيا ، فعليه أن يستعد للآخرة ، فإن الله جعل الدنيا مزروعة للآخرة ، وكل ما يعمل في هذه الدنيا يحصد نتيجته في الآخرة ، كما أن الإنسان إذا غرس شجراً ، أو زرع زرعاً وجد ثماره ، كذلك إذا عمل عملاً في هذه الدنيا وجد جزاءه في الآخرة ، إما في صورة قصر أو في

صورة بيت ، وقد ورد في الحديث قال صلى الله عليه وسلم : من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة (سنن الترمذى ، أبواب الدعوات ، باب من قال سبحان الله ، رقم الحديث : ٣٨٠٠) ، وقال في حديث آخر : ما من عبد يصلي لله كل يوم شتى عشرة ركعةً تطوعاً غير فريضة إلا بنى الله له بيته في الجنة ( صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل السنن الراية قبل الفرائض : ١٧٢٩) ، وقال صلى الله عليه وسلم : ما من عبد مسلم توضأ فأسبغ الوضوء ثم صلى لله كل يوم إلا بنى الله له بيته في الجنة ( صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل السنن الراية قبل الفرائض : ١٧٢٩) ، وقال : من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيته في الجنة ( صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب فضل بناء المساجد : ٧٦٦١) .

#### **النية ، أهميتها وال الحاجة إليها :**

فالشرط الأساسي للأعمال الأخروية التي ورد ذكرها في الأحاديث المذكورة أعلاه هو أن يكون كل عمل لابتغاء وجه الله ، ولا يكون فيه حظر للنفس والشيطان ، ولا يهدف العمل إلى سمعة أو صيت حسن ، ولا نفع عاجل ، هذا العمل صعب إلى حد كبير ، وليس سهلاً ، ولا يبني الله بيته في الجنة بدون عمل خالص لوجه الله ، بل لا بد له من نية صالحة ، نحن نصلي ونصوم ، لكن جعل مدار عباداتنا على النية ، فالإنسان يُجزى على عمله حسب نيته ، فإن الصلاة وإن كانت في الظاهر جميلةً ومؤثرةً ، لكن إذا كان في النية زيف أو شائبة دنيوية ، فلا تحصل لها فائدة ونفع ، لأن الله يرى قلب كل إنسان ، فلامتحان الحقيقي لهذا القلب ليس بظاهر الجسم ، لأن الظاهر علامة وهيكل لرؤيه الآخرين ، فلا بد من تركيبة الباطن ، فعلى سبيل المثال إذا كان هناك رجل يساعد أحداً فيمكن أن يساعد له فوائد دنيوية ، أو يساعد لأنه أحسن إليه ، أو يساعد له مجرد إنسانيته ، وهذه الغاية الأخيرة لها شأن كبير ، لكن إذا ساعده لمصلحة دنيوية لم يحصل له أجر ولا ثواب .

وقد جاء في الحديث النبوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : إن أول الناس يقضى يوم القيمة عليه رجل

استشهد ، فأتي به فعرفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جريئ ، فقد قيل ، ثم أمر به ، فسحب على وجهه حتى ألقى في النار ، ورجل تعلم العلم ، وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتي به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها قال : تعلمت العلم وعلمه وقرأت فيك القرآن ، قال ، كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال : هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، حتى ألقى في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ، قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ، ليقال : هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به ، فسحب على وجهه ، ثم ألقى في النار ( صحيح مسلم ، رقم الحديث : ١٩٠٥ ) .

يدل هذا الحديث على أن الأصل في الأعمال هي النية ، وكل ما نعمل من عمل ، إن كان ذلك العمل لابتقاء وجه الله فيحمل قيمةً وقدراً ، ويكون له تأثير في الآخرة ، بحيث يبني الله بيته ، أو يجري نهرًا ، أو يشيد قصراً ، أو يهيئ أنواعاً من الفواكه والثمرات ، لكن هذا كله نتائج الأعمال الدنيوية ، ولا يسمح للإنسان في الآخرة بأن يعمل عملاً يستحق به النعم الأخروية ، فأعمال الدنيا هي ثمرات الآخرة ، ولا يمكن لإنسان أن يعمل في الآخرة ، وكل من عمل في الدنيا من عمل وجده جزاءه في الآخرة .

### قدرة الله التامة :

تدل سورة الكهف على أن الإنسان يعتقد الدنيا غايةً ونتيجةً ، رغم أن الأمر ليس كذلك ، فالدنيا تفني وتبيد ، وما يرافق الإنسان إلى الآخرة هو عمله ، فإذا كان عمله حسناً نال مكاناً حسناً في الآخرة ، وإذا كان بالعكس كان مصيره إلى النار ، فأخبره الله في آيات هذه السورة بأن يؤمن بكل ما أمر به الله ، ولا ينخدع من هذه الدنيا الفاتحة ، وقد ضرب الله أمثلةً لبيان هذا الواقع ، وكشف عن قدرته الكاملة في ضوء قصص الأنبياء ، قال تعالى : ( وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحِيَّنِي

الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلِّي وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصَرُّهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ حُزْعًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعِيًّا وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ( البقرة : ٢٦٠ ) ، بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ كَمَال قَدْرَتِهِ ، وَذِكْرِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِيَنْتَبِهِ النَّاسُ مِنْ غَفْلَتِهِمْ ، فَلَا يُطْلَعُ اللَّهُ عَلَىٰ أَمْثَالِ هَذِهِ الصُّورِ وَالْأَشْكَالِ كُلِّ إِنْسَانٍ ، فَإِنَّهُ أَطْلَعَ عَلَىٰ هَذَا الْوَاقِعِ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، الَّذِي كَانَ أَكْمَلَ الْأَنْبِيَاءِ إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا ، لِيَطْمَئِنَ قَلْبَهُ وَيُنَشَّرَ صَدْرُهُ .

**لَفْتَةٌ خَاصَّةٌ :**

أَمْرُ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ بِالْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ ، وَمَعْنَى الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ بِدُونِ دَلَائِلٍ ظَاهِرَةٍ ، لَأَنَّ اللَّهَ أَمْرَهُ ، وَقَدْ وَصَلَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَى الْإِنْسَانِ بِوَاسِطَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ، فَكَانَ قَوْلُ النَّبِيِّ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَوْلُ اللَّهِ لَا مَجَالٌ فِيهِ لِلشَّكِّ وَالرِّيبِ ، فَإِذَا أَحْرَقَ أَمَامَ الْإِنْسَانَ نَارًا ، وَقِيلَ لَهُ : سُتُّرْحَ فِيهَا فِيهِ رَبٌّ وَيُفْرِنُهَا ، لَأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ إِذَا طَرَحَ فِيهَا احْتَرَقَ ، فَكَانَ فَرَارَهُ بِإِمْكَانٍ أَنْنَا سَنُنَطِّرُهُ فِي النَّارِ ، لَكِنْ إِذَا ذُكِرَتْ أَمَامَهُ نَارُ جَهَنَّمَ فَلَا يَتَأْثِرُ شَيْئًا ، كَذَلِكَ إِذَا ذُكِرَ أَمَامَهُ أَنْ مَا يَأْكُلُ فِي صُورَةِ الرِّبَا هُوَ النِّجَاسَةُ فَلَا يَشْعُرُ بِهِ وَلَا يُلْتَفِتُ إِلَيْهِ ، وَيَأْكُلُهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ، لَكِنَّ الرِّبَا يَظْهُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورَةِ النِّجَاسَةِ ، وَيَتَشَكَّلُ فِي شَكْلِ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَقَدْ رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ أَنْواعًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، فَلَمَّا سُأَلَ جَبَرِيلُ عَنْهَا ، أَجَابَ : هَذِهِ عَقَوبَاتُ أَعْمَالِ دُنْيَا.

وَقَدْ ثَبَتَ مِنِ السَّنَةِ الصَّحِيحَةِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى بَعْضَ الْمَعْذَبِينَ لِيَلَةَ الْمَعْرَاجِ ، رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْوَامًا تَرْضَخُ رُؤُوسَهُمْ بِالصَّخْرِ ، وَكَلَّمَا رَضَخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ ، وَلَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، فَسَأَلَ : مَنْ هُؤْلَاءِ يَا جَبَرِيلُ ؟ فَقَالَ : هُمْ قَوْمٌ تَتَشَاقَّلُ رُؤُوسُهُمْ عَنِ الْصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ ( الْخَصَائِصُ الْكَبِيرُ لِلْسِّيَوطِيِّ : ٢٨٤/١ ) ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثُمَّ مَضَيَّتْ هَنِيَّةٌ إِذَا أَنَا بِأَخْوَنَةٍ يَعْنِي الْخَوَانِ الْمَائِدَةَ الَّتِي يَؤْكِلُ عَلَيْهَا لَحْمًا مَشْرَحًا ، لَيْسَ يَقْرِبُهَا أَحَدٌ ، وَإِذَا أَنَا بِأَخْوَنَةٍ أُخْرَى عَلَيْهَا لَحْمًا قَدْ أَرْوَحْ وَنَنَّ ، عَنْهَا أَنَاسٌ يَأْكُلُونَ مِنْهَا ؟ قَالَ : هُؤْلَاءِ

من أمتك يتربكون الحلال ويأتون الحرام (دلائل النبوة للبيهقي : ج ٢ / ٣٩٢ ) ، قال : ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام بطنونهم أمثال البيوت ، كلما نهض أحدهم خرّ ، فقلت : يا جبرئيل ! من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الريا (دلائل النبوة ٣٩٢ / ٢ ) .

يتجلى من دراسة هذه الأحاديث أن كل عمل من أعمال الدنيا يقدر بالنسبة إلى النية ، وهو يظهر في صورة مادية في الآخرة ، وقد ابتنى الإنسان بإخلاقائه في الدنيا ، ليعلم أنه يؤمن بالله ألم لا ، أو يعتقد رازقاً ألم لا ، ويعتبره خالقاً وما لك ألم لا ، وأن الآخرة بيديه .

#### عقيدة منكري الآخرة :

فالذين لا يؤمنون بالآخرة ليسوا بمؤمنين ، لأنهم يعتقدون أن كل شيء يكون في الدنيا ، ولا علاقة له بالآخرة ، والواقع أن فكرة الآخرة إذا لم تكن لا تكون الإنسان ناجحاً ، يمكن أن لا تظهر مضار فكرة رفض الآخرة في الدنيا ، لكن الآخرة خير وأبقى ، فيظهر فيها كل شيء ، وقد وضع الله كل شيء في الدنيا للابتلاء والاختبار ، فيتمتع الإنسان في الدنيا ، ويفرح على سعياته ، ويسير في المعاصي ، لأنه يجد فيها لذة وتسليمة مادية ، وإذا قيل له : اشتغل بأخرتك فيقول بدون كلفة : سننظر ماذا يكون في الآخرة ، معنى ذلك أنه لا يؤمن بالآخرة حق الإيمان ، فلو آمن بالغيب ما تكلم بمثل هذا الهراء .

#### معنى الإيمان :

معنى الإيمان أن الله واحد ، وببيديه كل شيء ، وليس بينه وبين الإنسان وسيط ، فإنه يرى كل شيء مباشرةً ، وهو يملك قدرة كاملة على المحسنين والمسيءين ، فالذين يتورطون في المعاصي ، ويصررون على اقترافها ، ويتقحمون في نار جهنم ، فكانت سنة الله فيهم أنه يمهلهم ، ويملي لهم ، ويجمع لهم الوسائل والفرص للتغلب في الحرام ، لتكون أعمالهم حجة عليهم ، ولئلا يقولوا : ما جاءنا من بشير ولا نذير ، وقد استعمل الله لأمثال هؤلاء : كلمة الاستدرج ، والإملاء والإمهال ، قال تعالى : (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَسْتُرْجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَأَمْلَى لَهُمْ إِنْ كَيْدُهُمْ مَتَّيْنَ ) (الأعراف : ٨٣ - ١٨٢) ، وقال : (فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ ، أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا ) (الطارق : ١٧) .

## العلم أساس الاستخلاف وسبيل السيادة

بِقَلْمِ الْأَسْتَاذِ عَبْدِ الْقَادِرِ دَغْوَتِي \*

### المقدمة :

إن الإسلام يُمجِدُ العلم والمعرفة ، ويحث على التعلم والتعليم ، ويدعو إلى نشر العلم بين الناس بكل الطرق والوسائل المتاحة ، وينبه إلى أهمية العناية بالقلم ، واكتساب مهارات الكتابة ، لتقدير العلوم والمعارف النافعة في السطور ، بعد استيعابها وتبثتها في العقول والصدور ، لتسهيل مراجعتها ومعاهدتها ، وتوريثها للأجيال على مر العصور والدهور . ومن ثم يتوافر للأمة ما يلزم من كفاية علمية لتحقيق مطلب الاستخلاف ، وبلغ مقام السيادة والريادة .

### أولاً : العلم أساس الاستخلاف في الأرض :

كَرَمُ اللَّهِ تَعَالَى إِنْسَانٌ ، وَفَضْلُهُ عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ خَلْقٍ تَفْضِيلًا ، وَوَلَاهُ مَنْصَبُ الْخَلَافَةِ فِي الْأَرْضِ تَكْلِيفًا وَتَشْرِيفًا ، وَرَفَعَ قَدْرَهُ أَمَامَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرِيمَةِ ، بِمَا مِنْ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ خَصَّهُ بِهِ دُونَهُمْ ، وَأَمْرَهُمْ بِالسُّجُودِ لِهِ تَحْيَةً وَإِكْرَامًا وَتَعْظِيمًا . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ( وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةَ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْعَكُ أَلْدَمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَعَلِمَ آدَمُ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالُوا أَنْبِئُنَا بِاسْمَاءَ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِاسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِاسْمَائِهِمْ قَالَ اللَّمَّا أَقْلَلْتُكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ عِيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبَدِّلُونَ وَمَا كُتُبْتُمْ تَكْتُمُونَ . وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةَ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَيْهِ إِنْ لَيْسَ أَبِي وَأَسْتَكِيرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) [ البقرة : ٣٠ - ٣٤ ] .

ومهمة الاستخلاف في الأرض التي اختار الله لها آدم عليه السلام وبنيه ، تقتضي توافر مقومات الكفاءة والاستحقاق ، للقيام بأعبائها وتكاليفها ، وإتمام وظائفها وأعمالها . ومن تلك المقومات : الكفاية العلمية .

لأجل ذلك هي الله تعالى آدم عليه السلام وأهله لهذه المهمة

\* باحث في الدراسات الإسلامية ، المغرب .

العظيمة ، فعلمَه الأسماء كلها ( وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ) . أي : علمَه " أسماءَ الأشياءَ كُلَّهَا ذواتها وصفاتها وأفعالها ، كما قال ابن عباس " <sup>١</sup> . فكان العلم أساس التفاضل بين مخلوقات الله .

ولذلك : لما تساءل الملائكة الكرام - على سبيل الاستطلاع لا على سبيل الاعتراض - : ( أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ ؟ ) ؛ اختبر الله تعالى علمهم ( فقال أَبْيَهُنِي بِأَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ إِنْ كَنْتُمْ صَادِقِينَ ) في قولكم وظنبكم أنكم أفضل من هذا الخليفة <sup>٢</sup> ، فاعترفوا بقصور علمهم و ( قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلِمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ) . وحينئذ أمر الله تعالى آدم عليه السلام ، بأن يتبئم بما علمه إياه من علم الأسماء مما غاب عنهم . ( فَلَمَّا أَبْيَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ) ؛ تبين لهم فضل آدم عليهما بما علمه ربه من علم . قال ابن كثير رحمه الله : " وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم ، فشرفه وكرامته بالعلم ، وهو الفدر الذي امتاز به أبو البشر آدم على الملائكة " <sup>٣</sup> ، فكان جديراً بأن يُولى الخلافة في الأرض .

**فالحاصل :** إن العلم أساس الاستخلاف في الأرض ، وبه يتمكن الإنسان/ الخليفة من رسم الخطط لإعمارها وإصلاحها والانتفاع بمواردها ، واستثمار خيراتها ، وتدبير شؤون الحياة فوقها ، طبقاً لمقتضيات السنن الشرعية والكونية ، واتباعاً للمنهج الأوفق لمقصود الخالق ، والأقرب لتحقيق مصالح الخلق .

#### ثانياً : العلم سبيل السيادة والريادة :

أراد الله تعالى للأمة المحمدية أن تكون خير الأمم ، ورائدتها ، وشاهدة عليها ؛ تشيها وتصدها عن سُبل المنكر والجحود والجهالية والضلال ، وترشدها وتقودها إلى الخير والعدل والفضيلة والاستقامة ، قال الله جل جلاله : ( كُتْمَ حَيْرَ أَمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوُنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ) [آل عمران: ١١٠] ، وقال : ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ) [آل بقرة: ١٤٣] . وقد عبر عن هذا المقصد الجليل المنوط بالأمة المحمدية ، أحد

<sup>١</sup> تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ١ ، ص ٩٤ . مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

<sup>٢</sup> تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ج ١ ، ص ٦١ ، تحرير : محمد سيد عبد رب الرسول . دار أبو بكر الصديق ، القاهرة ، ط ١ : ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م .

<sup>٣</sup> تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ج ٨ ، ص ٢٧٣ . مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ربعي بن عامر رضي الله عنه ، لما سأله رستم قائد الفرس : ما جاء بكم ؟ فقال : " الله جاء بنا ، وهو بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام " <sup>١</sup> .

ولا يكون بمقدور الأمة القيام بهذا الدور الريادي ، إلا إذا امتلكت واستوفت مقومات القيادة والقيادة ، وأهمها : العلم . ومن لوازمه العلم : القراءة والقليل .

فالآمة التي تتطلع إلى القيادة والقيادة ، يجب أن تبوئ العلم المرتبة اللائقة به ضمن مراتب اهتماماتها وأولوياتها وأعمالها وأهدافها ، وأن تمنحه ما يستحق من عناء ورعاية ، وأن تشغله بالعلوم تقيحاً وتحقيقاً ، وتحصيلاً وتقييداً ، وتعلماً وتعليمًا ، وأن تعتنى بوسائل العلم وأدواته ، المعينة على تحصيله وحفظه واستثماره .

وقد دل أول ما نزل من القرآن الكريم دلالةً واضحةً على وجوب الأخذ بزمام العلم للأمة التي يُرجى لها أن تتولى قيادة الأمم ، فكانت أول كلمة تلقتها من الوحي الرياني الذي هو منطلقها ومرجعها ودستورها ، هي : " أقرأ " .

وقد خطبها الله تعالى بـ ( أقرأ ) : لأن " العلم تارةً يكون في الأذهان وتارةً يكون في اللسان وتارةً يكون في الكتابة بالبنان ؛ بطريق ذهني ولفظي ورسمي ، وال رسمي يستلزمهما من غير عكس ، فلهذا أرشدها إلى أهمية الكتابة وإعمال القلم في تقييد العلوم ، فقال : ( أقرأ وربك أكرم ) . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ) . وفي الآخر : قيدوا العلم بالكتابة " <sup>٢</sup> .

ثم إنه سبحانه وتعالى أقسم بـ : ( نَّ وَالْقَلْمَنِ وَمَا يَسْطُرُونَ ) ، وفيه القسم بالقلم والكتاب إشادة بفضل الكتابة والقراءة ، فالإنسان من بين سائر المخلوقات خصه الله تعالى بمعرفة الكتابة لي Finch عمما في ضميره ( الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ) ، وحسبك دليلاً على شرف القلم أن الله أقسم به في هذه السورة تمجيداً لشأن الكاتبين ، ورفعاً من قدر أهل العلم ، ففي القلم البيان كما في اللسان ، وبه قوام العلوم

<sup>١</sup> إمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، محمد الخضرى بك ، ص ٥٧ ، اعتنى به وليد الذكرى ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م .

<sup>٢</sup> تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ج ٨ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ بتصريف .

والمعارف " ١ .

قال سيد قطب رحمة الله : " يقسم الله سبحانه وسبحانه بنون ، وبالقلم ، وبالكتابة . والعلاقة واضحة بين الحرف (ن) بوصفه أحد حروف الأبجدية وبين القلم والكتابة .. فاما القسم بها فهو تعظيم لقيمتها وتوجيهه إليها ، في وسط الأمة التي لم تكن تتجه إلى التعلم عن هذا الطريق ، وكانت الكتابة فيها مختلفة ونادرة ، في الوقت الذي كان دورها المقدر لها في علم الله يتطلب نمو هذه المقدرة فيها ، وانتشارها بينها ، لتقوم بنقل هذه العقيدة وما يقوم عليها من مناهج الحياة إلى أرجاء الأرض . ثم لتهض بقيادة البشرية قيادة رشيدة . وما من شك أن الكتابة عنصر أساسي في النهوض بهذه المهمة الكبرى .. . ومما يؤكد هذا المفهوم أن يبدأ الوحي بقوله تعالى : ( أَفَرَا يَأْسِمُ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ إِلَيْنَا مِنْ عَلَقٍ . أَفَرَا وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَنِ . عَلِمَ إِلَيْنَا مَا لَمْ يَعْلَمْ ) ، منوهاً بالقراءة والتعليم بالقلم . ثم أكد هذه الفتة هنا بالقسم بنون ، والقلم وما يسطرون . وكان هذا حلقة من المنهج الإلهي للتربية هذه الأمة وإعدادها للقيام بالدور الكوني الضخم الذي قدره لها في علمه المكنون " ٢ .

**فالحاصل :** أنه لا سبيل إلى تحقيق الخلافة والريادة والقيادة بغير العلم ومستلزماته من كتابة وقراءة .  
**الخاتمة :**

- اختار الله تعالى الإنسان لقام الخلافة في الأرض ، وكلفه بإصلاحها وإعمارها . واختار الأمة المحمدية لقام الريادة والقيادة ، وكلفها برعاية الأمم ودلالتها على ما يصلح أمرها في معاشها ومعادها .
- ولا سبيل إلى تحقيق الخلافة والريادة وإنجاز مطالبهما ، بغير العلم ومستلزماته من كتابة وقراءة .
- لذلك كان أول ما نزل من الوحي الرباني على الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم يدعو إلى العلم والعناية بلوازمه من قراءة وفنون الكتابة والقلم : ( أَفَرَا يَأْسِمُ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ إِلَيْنَا مِنْ عَلَقٍ . أَفَرَا وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَنِ . عَلِمَ إِلَيْنَا مَا لَمْ يَعْلَمْ ) [ العلق : ٥ - ٦ ] .

١ صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، ج ٣ ، ص ٤٠٥ ، دار الجليل ، بيروت ، بدون تاريخ .

٢ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج ٦ ، ص ٣٦٥٤ و ٣٦٥٥ ، بتصريف يسir . دار الشروق ، القاهرة ، ط ٦ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .

## فلسفة النظافة لوقاية الإنسان من الأوبئة والأسقام

د . عبد الوهيد شيخ المدنى ( كشمير ، الهند )

الإسلام دين سماوي ، ويشتمل على تعليمات سمحنة ، ويدعو إلى كل فضيلة وينهى عن كل رذيلة ، ويسعى إلى تحقيق المصالح الدينية والدينوية لتحسين وضع الإنسان ، فما من خير إلا ودلّ عليه وما من شر إلا وحدّر منه ، شرع من الأحكام والعبادات وما فيه صلاح للعباد في الدارين ونهى عن كل ما فيه ضرر لهم في أجسامهم وعقولهم ومعاشهم ومعادهم ، فهو دين الحضارة والرقي ، وليس دين التخلف والرجعية ، وإنه يحرص على ما فيه تقدم وتطور ، فقد اهتم بحياة الإنسان وصحته اهتماماً بالغاً .

ومن المعلوم أن النفس البشرية تقوم على ركينين أساسيين : هما الروح والبدن ، فالروح عالجها الإسلام بـوحى السماء وبـكل ما فيه من الهدى والنور ، قال تعالى : ( وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنَ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالَّمِينَ إِلَّا خَسَارًا ) <sup>١</sup> ، وأما البدن فـبـين له ما يـصلـحـه وما يـضـرـه من الغذاء والدواء فقال عزّ من قائل : ( وَكُلُوا وَأَشْرُبُوا وَلَا تُسْرُفُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُ الْمُسْرِفِينَ ) <sup>٢</sup> ، وقد أمر الله بالمحافظة على الأبدان والأجسام ونهى عن التعدى فيها لأنها أمانة من الله عند الإنسان لا يملك أن يتصرف فيها كما يشاء ، قال حلّ شأنه : ( وَلَا تَعْتَذِلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ) <sup>٣</sup> ، وقال : ( وَلَا تُنْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْتَّهْلِكَةِ ) <sup>٤</sup> ، وهذه الآيات تدل على أنه لا يجوز للإنسان أن يتصرف في نفسه بما فيه ضررها وهلاكها ، بل يجب عليه أن يسعى جاهداً إلى تقوية جسمه وحمايته من الأمراض والأسقام . لذلك فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ العلاج واستعمال الدواء عند التعرض للأمراض محافظة على صحة الإنسان عند ما سأله الأعراب : يا رسول الله ! نتداوى ؟ قال : "نعم ، تدواوا ؛ فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء ،

<sup>١</sup> سورة الإسراء : ٨٢ .

<sup>٢</sup> سورة الأعراف : ٣١ .

<sup>٣</sup> سورة النساء : ٢٩ .

<sup>٤</sup> سورة البقرة : ١٩٥ .

غير داء واحد ، الهرم <sup>١</sup> . وهذه النصوص من القرآن والسنّة تدل على أن الإسلام يهدف إلى أن يرى أتباعه أصحاباً وأقواء ، لأن الصحة والسلامة من الأمراض هي قوام الحياة وعليها مناطق التكليف الشرعي وعليها مدار الأمور الشاقة في الدين والدنيا ، فقد خفف الإسلام كثيراً من الأحكام عن المرضى مثل الصلاة والصوم وإن لم تسقط عنهم هذه الأعمال بالكلية . قال النبي صلى الله عليه وسلم : " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير " . فالمؤمن الذي يتصرف بالصحة والقوة عنصر فعال في المجتمع ، ويستطيع أن يتولى الأمور الشاقة التي تحتاج إليها الأمة بخلاف المؤمن الضعيف ، فإنه قد لا يقدر القيام على بعض الأعمال لضعفه فيقل نفعه للمجتمع وإن كان الخير متواوفراً فيهما جميعاً إلا أن من يكثر خيره ونفعه فهو الأفضل . لذلك كان الأحق بالقيادة والريادة من توافرت فيه القوة والأمانة كما ذكر الله ذلك في قصة موسى عليه السلام في مدين حيث يقول : ( قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْبَتْ أَسْتَأْجِرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ أَسْتَأْجَرْتَ أَلْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) <sup>٢</sup> ، فالصحة قوام حياة الأقوام ، وإن الحضارات لا تقوم على العلل والأسقام .

ونظراً لهذه الأهمية فقد اهتم الإسلام بصحة الإنسان وأرشد إلى علوم الطب وأخبر أنه من أدنى الفضائل ما فيه من خير للأمة وإنقاذ للحياة البشرية وإعادة للصحة الطبيعية . لذلك فإن علم الطب له أهمية كبيرة في حياة الإنسان وقد عده الإمام الشافعى من أنبيل العلوم بعد الحلال والحرام إلى درجة أنه نهى عن السكنى في قرية أو ريف لا يكون فيه الطبيب ، فقال : " لا تسكن بلدًا لا يكون فيه عالم يفتىك في دينك ولا طبيب يتبئك عن أمر بدنك " <sup>٤</sup> .

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بالصحة أنه جعل الطهارة جزءاً من الدين وشطراً من الإيمان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " الطهور

<sup>١</sup> أحمد في المسند ، ٣٩٤/٣٠ ، ح ١٨٤٥٤ ، وأبو داود في السنّة ، كتاب الطب ، باب في الرجل يتداوى ، ٣٠/٤ ، ح ٣٨٥٥ .

<sup>٢</sup> مسلم في صحيحه ، كتاب القدر ، باب في الأمر بالمعروف وترك العجز ، ٤٣١/١٥ ، ح ٢٦٦٤ .

<sup>٣</sup> سورة القصص : ٢٦ .

<sup>٤</sup> آداب الشافعى ومناقبه لابن أبي حاتم الرازى ، ص ٢٥٨ .

شطر الإيمان<sup>١</sup> . والذي بتأمل في نصوص القرآن يجد أن الله يعاقب أشد العقاب على عدم الاهتمام بالطهارة والنظافة ، وقد أهلك الله أمةً بأسرها لنجاستها وقذارتها ، وهي قوم نبي الله لوطن عليه الصلاة والسلام . قال تعالى : ( فَأَخْذَنَّهُمُ الصَّيْحَةُ تُشْرِقُينَ . فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافَلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حَجَارَةً مِّنْ سَجْلٍ )<sup>٢</sup> . وقد فرض الله الطهارة للصلاة وجعلها شرطاً لصحتها فأمر بالوضوء عند إرادة الصلاة في آية الوضوء : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوْا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بُرُؤُوسَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ )<sup>٣</sup> ، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا صلاة من لا وضوء له ولا صلاة من لم يذكر اسم الله عليه "<sup>٤</sup> . فإن العبد إذا دخل في الصلاة فإنه يقوم بين يدي الله عز وجل فينبغي له أن يعتني بهذا الموقف ويولي له اهتماما بالغا تعظيمًا لشرع الله وإكباراً لمقام الله تعالى ظاهراً وباطناً عملاً بقوله تعالى : ( يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِيَّتُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ )<sup>٥</sup> ، ولم يكتف الإسلام بها ، وإنما حثّ على تطهير الفم والأسنان باستعمال السواك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لو لا أن أشقي على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء "<sup>٦</sup> . وجعله سبباً لمرضاة رب سبحانه تعالى في الحديث السابق نفسه ، فقال : " السواك مطهرة للضمور ومرضاة للرب "<sup>٧</sup> .

ومن مظاهر الاهتمام بنظافة الأبدان من الأوساخ والأدران فقد أمر الله بالغسل لكل من الحائض والجنب ، وأمر بإزالة النجاسة من أتى الغائط أو البول وجعل ذلك سبباً لمحبة الله لعبداته فقال : ( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّرَّاَيْنَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِيْنَ )<sup>٨</sup> ، وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بتطهير الشياب في أوائل سور المكية في قوله تعالى : ( وَتَبَّأَكَ فَطَهَرَ )<sup>٩</sup> ، وهذا

<sup>١</sup> مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، ١٠٥/٣ ، ح ٢٢٣ .

<sup>٢</sup> سورة الحجر : ٧٣ - ٧٤ .

<sup>٣</sup> سورة المائدة : ٦ .

<sup>٤</sup> أبو داود في السنن ، كتاب الطهارة ، باب في التسمية على الوضوء ، ١٥٣/١ ، ح ١٠١ .  
<sup>٥</sup> سورة الأعراف : ٣١ .

<sup>٦</sup> البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب السواك يوم الجمعة ، ٢٨ - ٢٧/٢ ، ح ٨٨٧ .

<sup>٧</sup> سورة البقرة : ٢٢٢ .

<sup>٨</sup> سورة المدثر : ٤ .

الأمر شامل لطهارة الروح والبدن والنفس .

ومن مظاهر الاهتمام بالنظافة أن المسلم مأمور بإزالة الأقدار من بعض الموضع منِّي البدن التي تكون مظنةً لجتماعِ أوساخِ الأنjas ، وحدَّد لذلك وقتاً لا يتجاوزُ أربعين يوماً . فقد قال النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : " الفطرة خمسٌ : الختان والاستhadad وقص الشوارب وتقليل الأظافر وتنفِ الآباط " <sup>١</sup> . وكذلك يجب على الإنسان أن يتزهَّه من البول فيغسل مواضع البدن والثياب منه وإلا كان سبباً لعذاب القبر كما جاء في الحديث أن النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مرّ بقبرين فقال : " إنما ليعدّبان وما يعدّبان في كبارٍ : أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنعيمه . . . " <sup>٢</sup> ، وقال أنس رضي الله عنه : " تتزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه " <sup>٣</sup> .

وقد جعل الله صلاة الجمعة شعيرةً من شعائر الإسلام ويجتمع فيها الناس تاركين وراءهم الأعمال والأشغال ، ويستمعون إلى مواعظ الخطيب ، ومن هنا رغب الإسلام في نظافة المسلمين في هذا اليوم حتى لا يتأنى أحد برائحة كريهة من أوساخ الأجسام والهندام ، وأذية المؤمن حرام ولاسيما في الصلاة فإن الحرجة تشتدّ فيها . لذلك فإن الشارع أوجب الغسل يوم الجمعة على كل محتمل كذلك ، فقد قال النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : " غسل يوم الجمعة واجب على كل محتمل " <sup>٤</sup> . وقال عندما شئ رائحة يوم الجمعة : " لوانكم تطهرتم ليومكم هذا " <sup>٥</sup> ، وكذلك يلزم الاهتمام بنظافة الملابس لهذه المناسبة . ونجد أن الإسلام دعا إلى تنظيف الرأس وتسريح الشعر فقال النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : " من كان له شعر فليكرمه " <sup>٦</sup> . وقال جابر رضي الله عنه أن النبي رأى رجالاً

<sup>١</sup> البخاري في صحيحه ، كتاب اللباس ، باب تقليل الأظافر ، ٥٦/٧ ، ح ٥٩١ ، ومسلم في كتاب الطهارة ، باب خصال الفطرة ، ح ٢٥٧ .

<sup>٢</sup> البخاري في صحيحه ، كتاب الوضوء ، ٤٢/١ ، ح ٢١٨ .

<sup>٣</sup> صحيح الجامع ، ٤٤٧/٤ ، ح ٣٠٠٢ .

<sup>٤</sup> البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب فضل الغسل يوم الجمعة ، ٢٢/٢ - ٢٢ ، ح ٨٧٩ .

<sup>٥</sup> البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب من أين تؤتى الجمعة ، ٤١٤٢/٢ ، ح ٩٠٢ .

<sup>٦</sup> أبو داود في السنن ، كتاب الترجل ، باب في إصلاح الشعر ، ٢١١/٤ ، ح ٤٦٣ .

شعثاً قد تفرق شعره فقال : " أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره ؟ " ، ورأى رجلاً آخر عليه ثياب وسخة فقال : " أما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه " <sup>١</sup> .

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بالإنسان أنه نهاد عن كل عمل يرهق بدنـه ويضعف قواه وإن كان سببه العبادة فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها ، وما كان فوق طاقة البشر فهو معفو عنه ، ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه عن بعض الصحابة أنهم عزموا على ترك ملذات الدنيا وعلى أن يكرسون جهودهم في العبادات من الصيام والقيام ويعرضوا عن النوم والإفطار والنكاح طول حياتهم فأنكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " أنتم الذين قلتم كذا كذا ؟ أما والله إني لأشاكـم لله وأتقاكم له لكنـي أصوم وأفطر وأصلـي وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " <sup>٢</sup> . فلا رهـبانية في الإسلام ، وإنما ينتفع الإنسان من ملذات الدنيا بما يتيسر له عن طريق الحلال ، قال تعالى : ( وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) <sup>٣</sup> ، ومن مظاهر الإسلام بصحـة الإنسان أنه أمر بأخذ العلاج عند المرض والألم فقد سئـل النبي صلى الله عليه وسلم ، أنتداوى ؟ فقال : " تداووا ؛ فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمـه من علمـه وجـله من جـله " <sup>٤</sup> . ولـأجل ذلك فقد نهى الله تعالى عن الإسراف في الأكل والشرب وأنه يؤدي إلى مرض الإنسان ، فقال عز وجل : ( وَكُلُوا وَآشُبُوا وَلَا تُسْرُفُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُ الْمُسْرِفِينَ ) <sup>٥</sup> ، قال ابن كثـير في تفسـير هذه الآية : " قال بعض السـلف : جـمع الله الطـبـ في نصف آية : ( وَكُلُوا وَآشُبُوا وَلَا تُسْرُفُوا ) <sup>٦</sup> ، فالإـكثار من الأـكل محـض للصـحة لذلك أـرشـد الإـسلام إلى الاعـتدال فيه ، وقد لـقي المـريض عـناية فـائـقة في الإـسلام حيث خـفـ عنـه بـعـض الـأـعـمال من الـعـبـادـات فـقـي الـوضـوء شـرـع لـه التـيـيم إـنـ كانـ المـاء يـضرـه ، وأـمـا فيـ الصـلاـة فـهـو مـخـيـر بـيـن أـنـ يـصـلي قـائـماً فـإـنـ لمـ يـسـتطـعـ

<sup>١</sup> أبو داود في السنن ، كتاب اللباس بـاب في غسل الثوب والخلقان ، ١٥٤/٤ ، ح ٤٠٦٢ .

<sup>٢</sup> البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، بـاب الترغـيب في النـكـاح ، ٤٩٩/٦ ، ح ٥٠٦٣ .

<sup>٣</sup> سورة القصص : ٧٧ .

<sup>٤</sup> أحمد في المسند ، ٣٩٨/٣٠ ، ح ١٨٤٥٦ .

<sup>٥</sup> سورة الأعراف : ٣١ .

<sup>٦</sup> تفسـير ابن كـثـير ، ٢١٥/٢ .

فـقـاعـدـاً فـإـن لـم يـسـتـطـع فـعـلـى جـنـبـ ، حـسـبـ اـسـتـطـاعـتـه وـفـي الصـوم أـبـاحـ لهـ الفـطـرـ فيـ المـرـضـ وـكـلـ ذـلـكـ مـحـافـظـةـ عـلـى صـحـةـ الـإـنـسـانـ وـتـخـفـيـفـاـ لـأـلمـ وـمـرـاعـاـةـ لـتـيـسـيرـهـ .

ويتجلى اهتمام الإسلام بالنظافة في التأكيد على نظافة البيئة ، فنهى عن البول في الماء الدائم الذي لا يجري وعن الغائط في الطرق وظل الناس ، محافظة على البيئة من التلوث ومن الأمراض المعدية كما أمر بتتنظيف أفنئه البيوت ، فقد روى الترمذى حديثاً طويلاً وفيه : " فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود " <sup>١</sup> . ومن هذا القبيل أمره صلى الله عليه وسلم بتفغطية الإناء وإيكاء السقاء حتى لا يقع فيه وباء فيمرض الناس ، قال عليه الصلاة والسلام : " غطوا الإناء وأوكوا السقاء فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمرّ بإناء ليس عليه غطاء وسقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء " <sup>٢</sup> . ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التنفس في الإناء <sup>٣</sup> . لحماية الطعام والشراب من التلوث .

قد أدرك العالم في الوقت الحاضر أهمية الحجر الصحي عند فشـوـ " وبـاء كـروـنـاـ " ، ولكن سبق أن أرشدنا الإسلام إلى الالتزام بهذه الإجراءات عندما نهى الإسلام عن الدخول في أرض فيها طاعون حتى لا يصاب به ونهى عن الخروج منها لئلا ينقل معه مرض الطاعون . وقال عليه السلام : " فرّ من المجنوم فرارك من الأسد " <sup>٤</sup> . وقال : " لا يورد مرض على مصح " <sup>٥</sup> . وقوله صلى الله عليه وسلم عندما جاءه وقد ثقيف لمباعته وفيهم رجل مجنوم فأرسل إليه : " ارجع فقد بايتك " <sup>٦</sup> ، فكل هذه النصوص تدل على اتخاذ الإجراءات الوقائية من الأمراض المعدية حرصاً على صحة الإنسان ، وقد تحقق هذا الأمر في الوقت الحاضر عندما لجأ إليه العالم بحثاً عن الوقاية من كرونا وثبت أنه من أنجع الوسائل لوقايتها .

<sup>١</sup> الترمذى في السنن ، أبواب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في النظافة ، ح ٢٧٩٩ .

<sup>٢</sup> مسلم في صحيحه ، كتاب الأشربة ، باب الأمر بتفغطية الإناء وإيكاء السقاء ، ح ٢٠١٤ .

<sup>٣</sup> ابن ماجة في السنن ، كتاب الأشربة باب التنفس في الإناء ، ٤ ، ٥٧٢/٤ ، ح ٣٤٢٨ .

<sup>٤</sup> أحمد في المسند ، ٥١٠/١٥ ، ح ٩٧٢٢ .

<sup>٥</sup> مسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب لا عدو ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ، ح ٢٢٢١ .

<sup>٦</sup> ابن ماجة في السنن ، كتاب الطب ، باب الجدام ، ٦٤٤/٤ ، ح ٣٥٤٤ .

واهتم الإسلام كذلك بعلاج الأمراض النفسية التي تعكر فكر الإنسان المصاب بها ، ومن ذلك أنه جعل الإيمان بقضاء الله وقدره ركنا من أركان الإيمان ، فما على الإنسان إلا أن يرضى ويستسلم للقدر فليعلم علم اليقين أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له وما لم يكتبه فلن يكون .

ففي الحديث : " واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفت الأقلام وجفت الصحف " <sup>١</sup> . هكذا يربّي الإسلام أتباعه على مقاومة المصائب والأحزان ويقوّي عزائمهم في مواجهتها ، لأنّه مهما حاول المرء في الخلاص منها فإنه لن ينجو مما كتب عليه ، فلا داعي إذا للهم والحزن لأنّه خارج عن طاقة البشر وما عليه إلا أن ينقاد لأمر الله لأنّ الجزء لا يفيده في هذا المقام وهذا العمل يخفف عليه كثيراً من أثقال الهموم ويطمئن قلبه ويريح باله .

وقد أباح الإسلام كل ما كان صالحًا لجسم الإنسان وروحه ومنع عما كان مضرًا لها ، فأحلَ الله الطيبات من المطاعم والمشارب والمناكح كلها وحرّم الخبائث من إيمية والدم ولحم الخنزير والخمر والمخدرات كلها ، قال تعالى : ( وَيُحِلُ لَهُمُ الطَّيَّابَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ) <sup>٢</sup> ، فأكّد الدين على حفظ الضروريات الخمس من الأجساد والأرواح والأعراض والأموال والعقول ، ففيه حفظ لصالح البشرية وقمع لفسادها . ولتحقيق هذه الأهداف النبيلة فقد حرّم الإسلام الاعتداء على النفوس والأموال والأعراض ونحوه بحقوق الإنسان تويها بالغاً لم يترك مجالاً لعايشين والمفسدين للنيل منها .

وفي الختام أقول : إن من كمال الشريعة الإسلامية الاهتمام بمكارم الأخلاق ومحاسنها والبحث على معالى الأمور والنهي عن سفاسفها وعلى رأس تلك الأمور النظافة فقد حثَ الشّرع على التزوّد بالنظافة والطهارة فقد جاء في الشاء على أهل قباء الذين كانوا يستتجون من الحجارة والماء فأثنى الله عليهم بقوله : ( فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَظَاهِرُوا وَأَلَّهُ يُحِبُ الْمُطَهَّرِينَ ) <sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> الترمذى في السنن ، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ح ٢٥١٦ .

<sup>٢</sup> سورة الأعراف : ١٥٧ .

<sup>٣</sup> سورة التوبه : ١٠٨ .

## الإكثار من تلاوة القرآن الكريم وجائزته من الله تعالى

بعلم : الأستاذ محمد سلمان الندوي البنجوري

إن كثرة تلاوة القرآن الكريم عمل محبوب عند الله تعالى من كل ذكر وشغل ، وهي أفضل ذكر كما تبين من الآية : ( إِنَّا نَحْنُ نَرَأُنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) ( سورة الحجر : ٩ ) ، وهي أفضل تسبيح وأكبر ورد من بين سائر الأذكار والأوراد ، وقال الإمام يحيى بن شرف النووي : " إن المذهب الصحيح المختار الذي عليه من يعتمد عليه من العلماء أن قراءة القرآن أفضل من التسبيح ، والتهليل وغيرها من الأذكار ، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك ، والله أعلم " . ( التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي ص ٢١ / ٢١ ) .

ولا شك أن تلاوة القرآن وقراءته والاستماع إليه والاشتغال به من أسمى الطاعات وأفضل العبادات وأعظم القربات يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل ، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " مَنْ شَفَعَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذَكْرِي وَمَسَأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أَعْطَيْتُ السَّائِلِينَ " . ( أخرجه الترمذى في سننه ، كتاب فضائل القرآن ، برقم : ٢٩٢٦ ) .

وقد وردت أحاديث كثيرة تتحدث عن فضل الإكثار من تلاوة القرآن الكريم وفضل من يتلوه ويرددده ويتدبر آياته ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم حتى الأمة الإسلامية على كثرة التلاوة والالتزام بها ، وفرق بين من يقرأ القرآن ومن لا يقرأه ، وعبر عنهم بالمؤمن والمنافق ، وجعل الخير كله في نفس المؤمن الذي يتعلق قلبه بالقرآن ويتأذذ بتلاوته ويتدوق طعم قراءته ويرطب لسانه بذكره ويلتزم بحفظ آياته ويحيى به الليل والنهر ، ويشتعل به في الخلوة والحسد والسر والعلن ، وضرب مثل هذا المؤمن بالأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن الكريم كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيب ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر " . ( أخرجه البخاري في صحيحه ، برقم : ٥٤٢٧ ) .

## **ذوق تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم :**

ومن خصائص النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يكثر من تلاوة القرآن الكريم ويتدبر آياته ويستغل به ويقرؤه ليلاً ونهاراً ، قياماً وقعوداً ويهتم بحلقات ومجالس في مسجده الشريف لقراءة القرآن الكريم وتلاوته وتعليمه وإذا صلى صلاة أطال قياماً ، ويتو فيها تريشاً وترتيلاً ، وكان يحث أصحابه على الإكثار من الاعتناء بتلاوته وقراءته والاشتغال به ، كما قال لهم في مكان : "اقرءوا القرآن ، فإن الله تعالى لا يعذ قلباً وعى القرآن ، وإن هذا القرآن مأدبة الله ، فمن دخل فيه فهو آمن ، فمن أحب القرآن فليبشر" . ( التبيان في آداب حملة القرآن للنبوة ، ص ١٨ ) . وكذلك أصحابه الكرام رضي الله عنهم كانوا يكتثرون من تلاوة القرآن الكريم ويساركون مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض صلواته النافلة آناء الليل والنهار ويتلذذون باستماع قراءاته صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم ما استطاعوا أن يقوموا مع النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة طويلاً ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : "صلَّيتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلةً ، فلم يزَلْ قائمًا حتَّى هَمَمْتُ بأمْرِ سَوْءٍ ، قَلَّا : وما هَمَمْتَ ؟ قَالَ : هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأَدْرِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم" . ( أخرجه البخاري في صحيحه ، برقم : ١١٣٥ ) . وكذلك قام معه صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ذات ليلة ولكن لم يستطع القيام معه ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم افتتح سورة البقرة حتى ختمها لم يركع ، وافتتح آل عمران ولم يركع وافتتح النساء ثم ركع فأطال الركوع ثم سجد فأطال السجود ، حيثما تعود على القيام طول الليل أو أقله حتى تورمت قدماه ، لأن هناك أولاً قد افترض على النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل ، ( يا أيها المُزَمِّل . قُمْ الْلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا . نَصْفُهُ أَوْ أَنْفَصُهُ مِنْهُ قَلِيلًا . أَوْ زُدْ عَلَيْهِ وَرَكِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ) ، وبعد ذلك أنزل الله تعالى التخفيف ، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : "فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام النبي صلى الله وأصحابه حولاً حتَّى انتفخت أقدامهم وأمسك الله عز وجل خاتمتها اثنى عشر شهراً ثم أنزل الله عز وجل التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً بعد أن كان فريضة" ( رواه النسائي في سننه ، ١٦٠٠ ) .

**ذوق تلاوة سلفنا الصالح :**

كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يستغلون بتلاوة القرآن الكريم ويكثرون من الاعتناء بها قراءة وسماعاً ، درساً وتدريساً ، فهما

وتدرّبًأ ، دراسةً ومطالعةً ، وله حرص زائد على تلاوة القرآن الكريم وتدرّب آياته ومعانيه في الصلاة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحثهم على الاشتغال بالقرآن الكريم وتلاوته في كثير من الأحاديث ، كما قال : " لا حسد إلا في اثنين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار " . ( أخرجه البخاري في صحيحه ، برقم : ٥٠٢ ) .

ومن ثم كان سلفنا الصالح من الصحابة والتبعين ومنتبعهم يحافظون على تلاوة القرآن الكريم ، ويكتثرون منها ويختتمون القرآن الكريم تلاوة على قدر ما استطاعوا ، فبعض منهم كانوا يختتمونه في شهر ، وبعض منهم يختتمه في خمسة عشر يوما ، وبعض منهم يختتم في ثلاثة أيام أو في يوم وليلة أو في يوم ختمتين وفي ليلة ختمتين ، وأشار إلى ذلك الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله تعالى : " كان السلف رضي الله عنهم لهم عادات مختلفة في قدر ما يختتمون فيه ، فروى ابن أبي داود عن بعض السلف ، أنهم كانوا يختتمون في كل شهرين ختمة واحدة ، وعن بعضهم في كل شهر ختمة ، وعن بعضهم في كل عشر ليال ختمة ، ... وعن كثيرين في كل ثلاث ليال ، وعن كثيرين في كل يوم وليلة ختمة ، ومنهم من كان يختتم في كل يوم وليلة ختمتين ، ومنهم من كان يختتم ثلاثة ، وختم بعضهم ثمانى ختمات ، أربعًا في الليل وأربعًا في النهار " . ( التبيان في أداب حملة القرآن ، ص : ٥٤ - ٥٥ ) ، وذكر الإمام النووي بعد ذلك قائمة أسماء المكتثرين من تلاوة القرآن الكريم من الصحابة ، " فمن الذين كانوا يختتمون الختمة في اليوم والليلة عثمان بن عفان رضي الله عنه وتميم الداري ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد الشافعي وأخرون ... ، وكذلك ذكر عاداتهم ودرجاتهم في التلاوة ، وقد علمنا كيف كان سلفنا يحرصون على تلاوة القرآن الكريم ويتدبرون آياته ويتفكرون في معانيه ، وإليكم مثالاً لحرص تلاوتهما والإكثار منها ، كان عبد الله بن عمرو رضي الله عنه يكثر من تلاوة القرآن الكريم ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بالتخفيض في ذلك ، وقال له : " اقرأ القرآن في كل شهر قلت : إني أجد قوة ، قال : فاقرأه في عشرين ليلة قال قلت : إني أجده قوة ، قال : فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك " . ( أخرجه البخاري في صحيحه ، برقم : ١٩٧٨ ) .

ومن العشاق بالقرآن الكريم والمكتثرين من تلاوته وممن شغفوا به كانوا لا يقر لهم قرار في أي حال ، ولا تطمئن قلوبهم ، ولا تقرأ عينهم

وَلَا يَذُوق لِسَانَهُمْ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا وَلَا تَتَلَذَّذ نُفُوسَهُمْ إِلَّا بِتَلَوِّةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَهُوَ جُزْءٌ أَسَاسِيٌّ مِنْ حَيَاتِهِمْ وَهُمْ يَعِيشُونَ مَعَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُثِلَّ السِّمْكِ فِي الْمَاءِ الَّذِي لَا يَعِيشُ إِلَّا فِي الْمَاءِ ، وَإِنْ حَيَاتَهُمْ كُلُّهَا كَانَتْ عَامِلَةً بِمَا يَتَطَلَّبُهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ، وَمُتَفَقَّةً مَعَ تَعْلِيمِهِ تَمَامًا ، وَهُؤُلَاءِ الْعَشَاقُ وَالْمُشْتَغِلُونَ بِتَلَوِّةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَدْبِيرِ آيَاتِهِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ تَعَالَى وَأَوْلِياؤُهُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ أَهْلَيْنَ مِنَ النَّاسِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ " . ( رواه ابن ماجة ، برقم : ٢١٥ ) .

**جائزَةِ التَّلَوِّةِ مِنَ اللَّهِ :**

وَلَا غُرُورَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَلَوُ كَلَامَهُ أَمَامَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَهُمْ يَرَوُنَ اللَّهَ بِأَمْ عَيْنِهِمْ وَيَتَمَتَّعُونَ بِزِيَارَةِ نُورِ وَجْهِهِ وَيَسْمَعُونَ مِنَ اللَّهِ كَلَامَهُ ، كَمَا نَرَى بَعْضُ الْعَشَاقِ بِتَلَوِّةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَتَمَنَّونَ أَنْ يَقْرُئُوا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فِي الْجَنَّةِ ، وَيَتَمَتَّعُونَ هُنَاكَ بِتَلَوِّتِهِ ، وَذَلِكَ يَدِلُّ عَلَى حَبِّهِمُ الرَّائِدِ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَشَفَقَهُمُ الْبَالِغُ وَرَغْبَتِهِمُ الْمُتَكَاثِرَةُ فِي تَلَوِّتِهِ ، وَإِذَا تَأَمَّلَنَا فِي سُورَةِ " عَبْسٍ " الْآيَةُ : ( كَرَامَ بَرَّةَ ) وَجَدْنَا أَنَّ مَنْ يَشْتَغلُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَيَعْمَلُ بِمَا جَاءَ فِيهِ وَيَتَدَبَّرُ آيَاتِهِ فَهُوَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقْرِبِينَ ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ الْعَالِمَةُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي شَرْحِ هَذِهِ الْآيَةِ : " وَقَوْلُهُ " كَرَامَ بَرَّةَ " أَيْ خَلْقُهُمْ كَرِيمٌ حَسْنٌ شَرِيفٌ وَأَخْلَاقُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ بَارِةٌ طَاهِرَةٌ كَامِلَةٌ وَمَنْ هَاهُنَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ عَلَى السَّدَادِ وَالرِّشَادِ ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنَا هَشَّامُ عَنْ قَتَادَةِ عَنْ زَرَارةَ بْنِ أَوْفَى عَنْ سَعْدِ بْنِ هَشَّامِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكَرَامِ الْبَرَّةِ وَالَّذِي يَقْرُئُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌ لِأَجْرَانِهِ . ( أَخْرَجَهُ الْجَمَاعَةُ مِنْ طَرِيقِ قَتَادَةِ بِهِ . تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لِإِلَامِ عَمَادِ الدِّينِ الْحَافظِ ابْنِ كَثِيرٍ ، الْمُجْلِدُ الْرَّابِعُ ، ص / ٦٠٥ ) ، وَيَتَبَيَّنُ ذَلِكُ الْمَعْنَى وَاضْحَى بِالْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَبْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " يَقُولُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ : أَقْرَأْ وَارْتَقَ وَرَتَلَ كَمَا كُنْتَ تَرَتَلَ فِي الدُّنْيَا ، إِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرَيَّةِ تَقْرُؤُهَا " . ( رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، برقم : ١٣٠٠ ) .

وَهَذِهِ الْجَائزَةُ الْعَظِيمَةُ لِمَنْ يَلتَزِمُ بِتَلَوِّةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَيَكْثُرُ مِنْهَا وَالْعَمَلُ بِهِ وَيَحْفَظُهُ ، فَإِنَّهُ يَقْرَأُ فِي الْجَنَّةِ وَيَرْتَقِي درَجَاتِهِ وَيَصْعُدُ مِنَازِلَهَا الْعَالِيَّةَ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ جَزَاءً بِمَا اشْتَغَلَ وَاعْتَنَى بِتَلَوِّةِ الْقُرْآنِ وَعَمَلَ بِهِ وَقَضَى حَيَاتَهُ فِي ضُوءِ تَعْلِيمِهِ فِي الدُّنْيَا .

## شبهة

### أن النبي صلى الله عليه وسلم

لم يأت بجديد ، وأنه مأخذ من الإسraelيات واليهودية والنصرانية

الأخ محمد دانش أنور\*

نحمده ونصلی علی رسوله الکریم ، اما بعد :

فقد عرفنا من خلال القرآن الکریم والسنۃ المطہرة أن مهمۃ الرسل الأولى التي کلفهم الله عز وجل بها إلى الأمم لإخراجهم من الظلمات إلى النور ؛ هي التبليغ الذي أوجبه الله تعالى عليهم بمقتضی اصطفائهم للرسالة التي حملهم إليها ، فيجب عليهم أن يبلغوها ، كما في قوله سبحانه وتعالی : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعُلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ) <sup>١</sup> . وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ) <sup>٢</sup> . ويستحیل عليهم أي شيء يخل بهذا التبليغ ، کكتمان الرسالة ، والکذب في دعواها ، وتصور الشیطان لهم في صورة الملك وتلبیسه عليهم في الرسالة ، ويجب على المسلمين اعتقاد ذلك فيهم .

وقد قام رسول الله صلی الله علیه وسلم بذلك البلاغ کله على وجه الكمال والتمام من يوم أن أنزل الله تعالى علیه الرسالة ، وكافه بالبلاغ ، سواء كان وحیا متلو (القرآن) أو غير متلو (السنۃ) ، ولم يأْل في ذلك جهداً ولم يدخل وسعاً ، بل إنه صلی الله علیه وسلم لم يكتف بذلك ، بل کلف كل من يسمع عنه شيئاً أن يبلغه إلى من وراءه ليعلم بلاغه الأمة في كل زمان ومكان ، ورغبهم صلی الله علیه وسلم في ذلك وشجعهم علیه بقوله : "نَصَرَ اللَّهُ امْرِئاً سَمِعَ مِنَا حَدِيثاً فَحَفَظَهُ حَتَّى يَلْعَمَ"

\* باحث في الدكتوراة ، قسم اللغة العربية ، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردنية ، فرع لکناو ، أترابارادیش ، الهند .

<sup>١</sup> المائدة : ٦٧ .

<sup>٢</sup> المدثر : ١ - ٢ .

فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه <sup>١</sup> . ولقد دلت نصوص القرآن الكريم والسنّة المطهرة والسيّرة العطرة على عصمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب ، وانعقد إجماع الأمة على ذلك ، وشهد الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بأداء واجب البلاغ على أكمل وجه ، كما في قوله تعالى : ( وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ) <sup>٢</sup> . وقوله تعالى : ( وَإِنْ كَادُوا لِيَفْتَنُوكَ عَنِ الدِّينِ أَوْ حَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَاتَخْذُوكَ خَلِيلًا . وَلَوْلَا أَنْ تَبَثَّنَكَ لَقَدْ كَذَّبَ رَمْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ) ( الإسراء : ٧٣ - ٧٤ ) .

فهذا غيض من فيض للدلائل الواردة في القرآن الكريم التي تشهد بعصمته صلى الله عليه وسلم في كل أمر بلغه عن ربه من كتاب وسنة ، فهو لا ينطق إلا بما يوحى إليه من ربه ، ولا يقول إلا ما أمر به ، بلغه إلى الناس كاملاً من غير زيادة ولا نقصان ، إذ لو كان بخلاف ذلك لما أيده الله تعالى ، ولفرض أمره للملأ . كما في قوله تعالى : ( وَلَوْ تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَوِيلِ . لَأَنْخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ) <sup>٣</sup> .

وقد أكتمل الدين وانتشر ، ولكن الحاقدين على دين الإسلام لم يستسيغوا انتشاره الواسع ، وقبول الناس له ودخولهم فيه ، فبدأوا يثيرون أنواعاً من الشبهات ، حتى ينفروا الناس عن هذا الدين ويضعوا عرافقيل في سبيله .

في هذا المقال أتناول بعض شبّهاتهم التي أثاروها حول الوحي ، وأذكر بعض الردود التي قاموا بها علماء الإسلام .

لقد زعم المستشرقون أن الوحي ابتدق في الدرجة الأولى عن اليهودية والنصرانية ، ولكن محمداً صلى الله عليه وسلم كيفه تكييفاً بارعاً وفقاً لمطالبات شعبه الدينية <sup>٤</sup> . وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد

<sup>١</sup> سنن الترمذى : كتاب العلم ، باب ما جاء في الحث على تبلغ السمع ، برقم ٢٦٥٦ ، بتحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي بيروت .

<sup>٢</sup> النجم : ٣ - ٤ .

<sup>٣</sup> الحاقة : ٤٤ - ٤٧ .

<sup>٤</sup> ينظر : تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ، ص ٦٩ ، والاستشراق في السيّرة لعبد الله النعيم ، ص ٣٨ .

تلمند على رهبان النصارى : مثل ورقة بن نوفل ، وبحيرا ، ونسطورا ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، المسيحي الأصل ، وأخبار اليهود : مثل عبد الله بن سلام ، الذين كانوا أساتذة له<sup>١</sup> . ويرى بروكلمان أن ذلك تم من خلال رحلاته ، والذين عاشوا معه بعد إسلامهم<sup>٢</sup> .

وقد حاول المستشرقون الرجوع في كثير من شعائر الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية أو الاثنين معاً<sup>٣</sup> ، مثل صوم عاشوراء ، وصلاة يوم الجمعة .

ويحِّاب عن هذه الافتراءات بما يأتي :

أولاً : الناظر في شبهتهم تلك يلاحظ أنها تقوم على دعائم هشة في بيت العنكبوت ، ويلاحظ القارئ أن زعمهم هذا لا يعدو كونه عين ما رده جهال قريش من قبل ، حين قالوا كما أخبر القرآن : ( ولَقَدْ عَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلَمُ بَشَرٌ لَسَانُ الدِّيْنِ لِلْجَهَنَّمِ )<sup>٤</sup> . وبذلك يتضح أن الكفر ملة واحدة ، مهما تباعدت أزمانه واحتلت أوطانه .

إن ما زعمه هؤلاء الملحدون ؛ باطل من القول ، سودوا به صفحات التاريخ ؛ إذ الحق الذي لا مناص عنه ، ثبوت العصمة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في دعوه بالنبوة ، وفي كل ما يخبر به من الوحي عن ربه عز وجل ، على ما مر سابقاً في دلائل عصمته من خلال القرآن والسنة في تبليغه صلى الله عليه وسلم الوحي<sup>٥</sup> ، كما أنه لم يكن لأحد عليه فضل فيما جاء به غير الله تعالى ؛ فليس لأحد من البشر كائناً من كان أن يكون له قبل<sup>٦</sup> بما جاء به صلى الله عليه وسلم فينسبونه معلماً له ؟

ثانياً : أين هذه الرحلات التي يتكلّم عنها جولد زويهر ، وبروكلمان ، ومن شاعرها ، والتي التقى فيها النبي صلى الله عليه وسلم بأخبار اليهود ، ورهبان النصارى ، وأخذ عنهم ؟ ومتى كانت ؟

<sup>١</sup> العقيدة والشريعة : ص ١٣ - ١٤ ، وحياة محمد لإميل در منغم ، ترجمة : عادل زعيتر : ص ١٢٥ - ١٢٦ ، الاستشراف في السيرة النبوية لعبد الله محمد الأمين ، ص ٦٥ .

<sup>٢</sup> تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٣٤ .

<sup>٣</sup> العقيدة والشريعة ، ص ١٧ - ١٨ ، والرسول في كتابات المستشرقين ، ص ١٣٧ .

<sup>٤</sup> النحل : ١٠٣ .

<sup>٥</sup> انظر مقدمة المقال ، ص ١ .

وأين تم هذا اللقاء ؟ وكم مدة قضاها ليتلقى تلك الدروس حتى يهضمها ويستوعبها ؟ ومن هم الذين أخذ عنهم ؟ وماذا أخذ ؟ . . . إلى غير ذلك من أسئلة يعجز المستشرقون عن إجابتها ، لأنها لا إجابة لها البتة ، إذ الإجابة عنها من صنع الخيال ، وترهات الأفكار .

إن ما زعموه بأنه من الممكن أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي هذا الذي جاء به من بحيراً <sup>١</sup> ونسطوراً <sup>٢</sup> الراهبين ؛ زعم باطل ؛ وذلك لأن المعروف الثابت تاريخياً أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يلق (بحيراً) هذا إلا مرة واحدة ، وهي المرة الأولى التي سافر فيها إلى الشام ، وكان معه عمّه أبو طالب ، وكان عمره صلى الله عليه وسلم إذ ذاك لا يتعدى اثنين عشر عاماً <sup>٣</sup> ، ولا يعقل أن يكون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد أخذ عنه شيئاً وهو في هذه السن ، وأنى لـ (بحيراً) وما حواه الوحي الإلهي قرآناً وسنة من علوم وأخبار ماضية ومستقبلة ؟

إن الباحث المصنف لو استطع التاريخ ، ما زاد على أن يقول له : إن الراهب (بحيراً) لما رأه تظله سحابة من الشمس ، ورأى فيه بعض أمارات النبوة ذكر لعله أنه سيكون له شأن ، وحذرته أن تناهيه اليهود بأذى . وكذلك الحال عندما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالراهب (نسطوراً) وهو في طريقه إلى الشام ، يعمل في تجارة السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبّل رأسه وقدميه ، وقال : أمنت بك ، وأنا أشهد أنك الذي ذكره الله في التوراة ، ثم قال ميسرة بعد أن خلا به : يا ميسرة ! هذانبي هذه الأمة ، والذى نفسي بيده إنه له تجده أحبارنا منعوتاً في كتبهم <sup>٤</sup> .

ولم تذكر الأخبار أنه كان حتى هناك مجرد حديث بين الغلام

<sup>١</sup> راهب ، قيل : إنه كان يهودياً من يهود تيماء ، وقيل : كان نصراانياً من عبد القيس ، يقال له جرجس ، لقيه النبي صلى الله عليه وسلم قبلبعثة . ( البداية والنهاية ، ٢١٣/٢ - ٢١٤ ) .

<sup>٢</sup> بطريق الإسكندرية ، سنة ٤٢١ م ، وهو الذي قال : بأن مريم لم تلد إلا الإنسان ، فهي بذلك أم الإنسان ، وليس أم إله ، وأتباعه هم النساطرة ( الملل والنحل للشهرستاني ، ٢٥١/٢ - ٢٥٣ ) .

<sup>٣</sup> السيرة النبوية لابن هشام ، ١/٢٣٦ - ٢٣٨ .

<sup>٤</sup> دلائل النبوة لأبي نعيم ، ١٧٢/١ .

الصغير ( محمد ) وبين ( بحيرا ونسطورا ) ، وإنما الذي ذكرته الأخبار أن كل الحديث الذي تحدث به الراهب ( بحيرا ) عنه ؛ كان مع عمه أبي طالب ، والذي تحدث به الراهب ( نسطورا ) عنه ؛ كان مع غلام السيدة خديجة ميسرة ، فماذا - يا ثرى - هلا نبأنا التاريخ بنبأ ما جرى خلال هذا الحديث المزعوم الذي جمع في تلك اللحظة القصيرة علوم القرآن والسنة كاملة !

إن تلك الروايات التاريخية التي تتحدث عن اللقاء العابر بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين بحيرا ونسطورا تحيل أن يقف كل من بحيرا ونسطورا موقف المعلم المرشد لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأن كلاً منها بشر عمه وميسرة بنبوته ، وليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة التي يزفها ، ثم ينصب نفسه أستاذًا لصاحبها الذي سيأخذ عن الله ، ويتقى عن جبريل ، ويكون هو أستاذ الأستاذين ، وهادي الهداء المرشدين ! وإلا كان هذا الراهب متلقاً مع نفسه !!

ثالثاً : ما زعموه من أنه صلى الله عليه وسلم تلقى الوحي من علماء أهل الكتاب في عصره محض افتراء يرده القرآن الكريم الذي حفل بجدالهم ومحاوراتهم في العقائد والتاريخ والأحكام .

فالناظر في محاورات القرآن لهم يرى بأي لسان يتكلم عنهم القرآن الكريم ، إنه يصور علومهم بأنها الجهالات ، وعقائدهم بأنها الضلالات ، ومعارفهم بأنها الخرافات ، وأعمالهم بأنها المنكرات .

واقرأ إن شئت قول الله تعالى : ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلٍ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَكْثَرَهُمْ يُؤْفِكُونَ أَتَخَذُوا أَحْمَارَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْدِدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَمَّا هُوَ سُبْحَانُهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ )<sup>١</sup> .

وقال تعالى : ( وَبَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرِيمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا . وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شَيْءٌ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْنَاعَ الطَّنْنَ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيْنًا . بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا )<sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> التوبه : ٣٠ - ٣١ .

<sup>٢</sup> النساء : ١٥٦ - ١٥٨ .

وغير ذلك كثير مما هو منتشر في شايا سور القرآن الكريم ، وهو سهل المنال لمن طلبه ، مما يفيدهك بأن قوماً أمثال هؤلاء لا يعقل أن يصفهم القرآن بذلك ، ثم يقفون من صاحب هذه النبوة موقف المرشد والنافذ ! كذلك لا يعقل - وحالهم هكذا - أن يتلقى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل إنك ترى فيه معلماً يصحح لهم أغلاطهم ، وينهى عليهم سوء حاليهم ، فلو كانوا معلمين له صلى الله عليه وسلم مدحهم ، وجاملهم ، وتودد إليهم ، وتقرب منهم ، ولم يقف منهم هذا الموقف العدائي ، حتى لا يفضحوا أمره ، ويكشفوا حاله .

ثم إن كثيراً من هؤلاء الذين يزعمون أنهم كانوا مصدر الوحي ؛ قد أسلموا ، وإسلامهم حجة قائمة على صدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعصيته فيما بلغ من الوحي الإلهي ، ولو كان هؤلاء أعنوا النبي صلى الله عليه وسلم على الوحي ، وأنه ليس من عند الله ، لكنوا أدرى الناس حينئذ بحقيقة الإسلام ، وبالتالي كانوا سيكونون أبعد الناس عنه ، وكانوا يعرفون أنه دين ليس صحيحاً .

رابعاً : من أقوى ما يدل على أن الإسلام لم يكن مقتبساً من اليهودية أو النصرانية ، وجود الخلاف في كثير من العقائد والأحكام ؛ بل جعل الشارع الحكيم جنس مخالفتهم أمراً مقصوداً له ، بل ومن متطلبات الشرع ، وهناك كثير من الأحكام جعلت العلة فيها هي مخالفة اليهود أو النصارى ، فمن ذلك :

قوله صلى الله عليه وسلم : " إن اليهود والنصارى لا يصبغون ، فخالفوهم " <sup>١</sup> .

وكما أخرجه الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضرت المرأة فيهم لم يؤكلوها ، ولم يجتمعن في البيوت ، فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى : ( وَسَأَلُوكَمْ عَنِ الْمَحِيطِ قُلْ هُوَ أَذِي فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيطِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرُنَّ إِذَا تَطَهَّرُنَّ فَاتَّوْهُنَّ مِنْ حِيْثُ أَمْرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ) <sup>٢</sup> ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

<sup>١</sup> صحيح البخاري : كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ، برقم ٣٢٧٥ .

<sup>٢</sup> البقرة : ٢٢٢

"اصنعوا كل شيء إلا النكاح" ، فبلغ ذلك اليهود ، فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه<sup>١</sup> .

فهذا إقرار من اليهود - عليهم لعائن الله - بمخالفـة النبي صلى الله عليه وسلم لما كانوا عليه من شعائر ، حتى اشتهر ذلك بينهم .

خامساً : ما زعموه من إرجاع كثـير من شعائر الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية ، أو الاثنين معاً ، رغم باطل لما يلي :

(١) زعموا أن صوم عاشوراء على موافقة اليهود فيه ، بناء على ما روـي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجـى الله بنـي إسرائـيل من عدوـهم ، فصـامـه موسـى ، قال : فأنا أحق بموسى منـكم فصـامـه ، وأمر بصـيـامـه<sup>٢</sup> .

فعـلـةـ الموافـقةـ الـوارـدةـ فيـ الحـدـيـثـ هيـ التـيـ بنـيـ عـلـيـهاـ المـسـتـشـرـقـونـ شـبـهـتـهـمـ السـابـقـةـ ،ـ وـيـجـابـ بـالـأـتـيـ :

لقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم عاشوراء في الجاهلية قبل قدومـهـ المـديـنـةـ ،ـ وـيـدلـ عـلـىـ ذـلـكـ قولـ السـيـدةـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـاـ :ـ كـانـ يـوـمـ عـاـشـورـاءـ تـصـومـهـ قـرـيشـ فـيـ جـاهـلـيـةـ ،ـ وـكـانـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـصـومـهـ ،ـ فـلـمـ قـدـمـ المـدـيـنـةـ صـامـهـ وـأـمـرـ بـصـيـامـهـ ،ـ فـلـمـ فـرـضـ رـمـضـانـ تـرـكـ يـوـمـ عـاـشـورـاءـ ،ـ فـمـنـ شـاءـ صـامـهـ ،ـ وـمـنـ شـاءـ تـرـكـهـ<sup>٣</sup> .

وفي رواية عنها قالت : كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يفرض رمضان ، وكان يوماً تسترفـيهـ الكـعبـةـ ،ـ فـلـمـ فـرـضـ اللهـ رـمـضـانـ قالـ رسولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ :ـ "ـ مـنـ شـاءـ أـنـ يـصـومـهـ فـلـيـصـمـهـ ،ـ وـمـنـ شـاءـ أـنـ يـتـرـكـهـ فـلـيـتـرـكـهـ"<sup>٤</sup> .

فـدـلـ بـهـذـاـ عـلـىـ أـنـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـمـ يـصـمـهـ موافـقةـ لـيـهـودـ وـاقـتـدـاءـ بـهـمـ ،ـ وـإـنـمـاـ صـامـهـ وـأـمـرـ بـصـيـامـهـ تـقـرـيرـاـ لـتـعـظـيمـهـ وـتـأـكـيدـاـ ،ـ وـأـخـبـرـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـهـ وـأـمـتـهـ أـحـقـ بـمـوـسـىـ مـنـ يـهـودـ ،ـ فـإـذـاـ صـامـهـ

<sup>١</sup> صحيح مسلم : كتاب الحـيـضـ ،ـ برـقـمـ ٣٠٢ـ .

<sup>٢</sup> صحيح البخاري : كتاب الصـيـامـ ،ـ بـابـ صـيـامـ يـوـمـ عـاـشـورـاءـ ،ـ برـقـمـ ١٩٠٠ـ .

<sup>٣</sup> نفس المصدر ،ـ برـقـمـ ١٨٩٨ـ .

<sup>٤</sup> نفس المصـدرـ ،ـ كـتـابـ الحـجـ ،ـ بـابـ قولـ اللهـ تـعـالـىـ :ـ (ـ جـعـلـ اللهـ الكـعبـةـ الـبـيـتـ الـحرـامـ قـيـاماـ لـلـنـاسـ...ـ)ـ ،ـ برـقـمـ ١٥١٥ـ .

موسى شكرًا لله ، كنا أحق أن نقتدي به من اليهود ، لاسيما إذا قلنا :  
شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يخالفه شرعننا<sup>١</sup> .

(٢) إن النبي صلى الله عليه وسلم بينَ نوع مخالفته لليهود في صيام عاشوراء ، عندما شرع صيام يوم قبله أو بعده ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه ، قالوا : يا رسول الله ! إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع " ، قال : فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>٢</sup> . وعن أبيضنا مرفوعاً : " صوموا يوم عاشوراء ، وخالفوا فيه اليهود ، صوموا قبله يوماً أو بعده يوماً<sup>٣</sup> . فدل ذلك على مخالفته لهم في صيامه .

بعد هذا يتضح أن وحي الله تعالى (كتاباً وسنةً) والذي بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصمة الله له ، لم يكن مأخوذًا من اليهودية أو النصرانية ، وإنما هو وحي مستقل ، لم يتأثر بغيره ، وبالتالي دين الإسلام دين قائم بذاته ، متميز عن غيره ، وإذا وجد تشابه بين نسخ إسلامي ، وبين عمل سابق منسوب إلى شريعة اليهود أو النصارى ؛ دل ذلك على أن أصل الدين الذي جاء به رسول الله واحد ، لقوله تعالى : (شَرَعَ لِكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)<sup>٤</sup> ، وبياناً لذلك وتأكيداً له ، قال صلى الله عليه وسلم : " أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرِيمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَاتٍ ، أَمْهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ "<sup>٥</sup> .

<sup>١</sup> زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية ، ٧٠/٢ ، مؤسسة الرسالة .

<sup>٢</sup> صحيح مسلم : كتاب الصيام ، باب أي يوم يصوم في عاشوراء ، برقم ١١٣٤ .

<sup>٣</sup> مسند أحمد : مسند عبد الله بن عباس ، برقم ٢١٥٤ ، مؤسسة الرسالة .

<sup>٤</sup> الشورى : ١٣ .

<sup>٥</sup> صحيح البخاري : كتاب الأنبياء ، باب ( واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ) برقم ٢٢٥٩ .

<sup>٦</sup> انتهى ملخصاً من كتاب ( رد شبّهات حول عصمة النبي صلى الله عليه وسلم في ضوء السنة النبوية الشريفة ) مؤلفه : الشيخ عماد السيد محمد اسماعيل الشربيني .

## الاستنساخ من منظور إسلامي

(الحلقة الأولى)

د . خورشيد أشرف إقبال الندوى

خلق الله تعالى الإنسان ، وكرمه وأحسن خلقه وفضله على سائر المخلوقات ، وأوجد القوانين والأنظمة التي تحافظ على كرامته وعلى المقاصد الشرعية ، وهي : الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال ؛ حيث حرم الاعتداء عليها من قبل الآخرين ومن قبل الشخص نفسه ، وميّزه بالعقل ليكون سبيلاً له لدخول الجنة .

والإسلام دينٌ مساوي جاء لسعادة الإنسان وتحقيق الحياة المنشئة له ، وقد سنَّ أساساً وأصولاً علمية وحكيمية تبعث الطمأنينة في نفس الإنسان ، وتبثت دعائم الحق والعدل في حياته ، ومن مميزات هذا الدين أن شريعته وأحكامه وتعليماته لها من الشمولية والدقة والثبات والديمومة ما يحث العمل بها وعدم مخالفتها ، وفيها من شفافية التعامل مع الأحداث والمستجدات ما لا توجد في أي دين أو تشريع آخر .

كما أن الإسلام لم يمنع الإنسان من أي علم جديد يفيده أو معرفة علمية تحل مشكلاته ، إلا إذا اشتملت على مفاسد يقرها الشرع العظيم ، وهكذا أتاح له الشرع الحنيف جميع سبل البحث العلمي لتطوير حياته ، فكان لا بد من إدخال النتائج أو طرق البحث لغربال الشريعة للتأكد من مطابقتها للشرع أم لا ، لأن أي شيء يخالف الشرع سيُسبب الكثير من المشكلات والمفاسد للإنسان وللمحيطين به .

وعندما ظهر الاستنساخ في أواخر القرن المنصرم أحدث ضجةً وضجيجاً في أوساط الحكومات والمنظمات ، كما أحدث ثورة في مجال علم الجينات والهندسة الوراثية .

وخصوصاً حين ولادة النعجة " دوللي " ، بعد أن أخذت خلية من ضرع نعجة بالغة ، وتم تربيتها في المعمل لمدة ستة أيام ، ثم جيء بيضة غير مخصبة من نعجة أخرى ، وتم نزع نواتها بما تحويه من مادة وراثية ، وتم وضع نواة الخلية المأخوذة من ضرع النعجة الأولى بدلاً منها ، وفي وجود شرارة كهربائية تم التحام هذه النواة في بيضة النعجة الثانية الخالية من النواة ، ثم تم زرع الجنين الذي نتج عن هذا الالتحام في نعجة ثالثة ، وبعد

انتهاء مدة الحمل ، أنجبت النعجة ( دوللي ) التي صارت أشهر نعجة في التاريخ .

ومنذ وقوع هذا الحدث ، وهناك جدل ونزاع بين رجال الدين والسياسة وغيرهم حول الاستساخ الذي فجر الكثير من التساؤلات ، كما أصبح هذا الموضوع موضع سجال ونقاش بين علماء الدين الإسلامي في حرمته أو تحليل الشرع له .

وفي السطور التالية سأحاول - بإذن الله تعالى - عرض أهم عناصر الموضوع وحكمها في الشريعة الإسلامية .

#### أولاً : مفهوم الاستساخ :

#### الاستساخ لغة :

الاستساخ في اللغة من النسخ ، والننسخ يُطلق في اللغة على النقل ، كنسخ الكتاب ، الذي يتم فيه نقل صورته إلى كتاب آخر ، كما يطلق الننسخ على الإزالة ، والتسليل ، والإبطال .

ويظهر تقارب المعنى اللغوي " النقل " بالمعنى الاصطلاحي ، فهو يوافق إحدى تقنيات الاستساخ ، والتي يطلق عليها ( تقنية النقل النووي للخلايا ) ، وهي تقوم على أساس أن هناك نوعين من الخلايا يتكون منها جسم الإنسان الخلايا الجسدية ( الجسمية ) والخلايا الجنسية .

#### الاستساخ اصطلاحاً :

الاستساخ هو : " توليد كائن حي أو أكثر إما بنقل النواة من خلية جسدية إلى بعضة من زوّعة النواة ، وإما بتشطير بعضة مخصبة في مرحلة تسبق تماثيل الأنسجة والأعضاء " .

ويعرف أيضاً بأنه : " تكون كائن حي كنسخة مطابقة تماماً ، من حيث الخصائص الوراثية ، والفيزيولوجية ، والشكلية ، لـكائن حي آخر " .

كما يُعرف بأنه : " إيجاد نسخة طبق الأصل عن شيء ما من الكائنات نباتاً أو حيواناً أو إنساناً " .

ويبدو مما سبق أن الاستساخ هو نقل الخلايا بغير طريقة التوالد

<sup>١</sup> ابن منظور : لسان العرب ٦١/٣ ، ٦٦/١١ ، وابن فارس ، معجم المقايس في اللغة ، ص ٩٨٩ ، المعجم الوسيط ٩١٩/٢ .

<sup>٢</sup> أ. د . هاني رزق : بиولوجيا الاستساخ ، بحث ضمن كتاب الاستساخ جدل العلم والدين والأخلاق ، ص ٢٠ . محمد عبد العزيز إسماعيل ، قيل عن الاستساخ ص ٢٩ ، عبد القديم زلوم ، حكم الشرع في الاستساخ ونقل الأعضاء ... ، ص ٧ .

**الطبيعية** (أي المعمول في تكثير النسل والتوالد)؛ وذلك بأخذ خلايا جسمية ذات عدد كامل من الكروموسومات ووضعها في أوساط خاصة (أي المختبرات البايولوجية المخصصة لعلم الأجنة) تقسم وتولد فرداً جديداً.

**ثانياً : فوائد الاستنساخ ومضاره :**

**(أ) فوائد الاستنساخ :**

للاستنساخ فوائد عديدة ترجع إلى مصالح الإنسان، وتهدف إلى حل كثير من معضلاته إذا تم استخدامه ضمن حدود معينة وقواعد مطبوعة، وأهمها :

١. إنه قد يوصل في المستقبل إلى معرفة أسباب سرعة انقسام الخلايا السرطانية، حيث يمكن حينئذ إيجاد السبل لوقف انتقامتها.
٢. إنه يساعد في حال استنساخ الخلايا الجنينية، على تعرف الأمراض الوراثية التي يمكن إصابة الجنين بها، ومحاولة علاجه جينياً وهو في مرحلة النطفة قبل نقله إلى الرحم.
٣. إن متابعة أبحاث الاستنساخ قد تؤدي إلى إمكان استنساخ الأعضاء البشرية مستقبلاً لاستخدامها في الزرع بدلاً مما يؤخذ من الآدمي.
٤. إن الخلايا الجذعية المأخوذة من الأجنة المستنسخة يمكن استخدامها في علاج دمار المخ والجهاز العصبي وغير ذلك، من الأعضاء البشرية التي يصعب علاجها إذا تلفت.
٥. يفيد الاستنساخ في زراعة الأعضاء البشرية، إذا ما تم استزراع بعض الجنينات الخاصة بالأعضاء البشرية في الأغنام مثلاً في أثناء تكوينها الجنيني، حيث تمثل أعضاؤها قطع غيار بشرية.
٦. يساعد في الحصول على سلالات متميزة في النبات والغراس والحيوان، ذات عطاء متميز في إنتاجها.
٧. يمكن عن طريقه كشف غموض أسباب الإجهاض المبكر، الذي لا يعرف لأكثر حالاته سبب بوسائل أخرى غير الاستنساخ.
٨. يمكن عن طريقه استنساخ أبقار وأغنام يحتوي حليبها خصائص حليب النساء، أو يحتوي على البروتين العلاجي من أمراض عدّة: كهرمون الأنسولين، وهرموني النمو، والإنترفيرون، والعامل المضاد للترومبين، والعامل المخثر للدم، والبروتين المضاد للتريسين، وغير ذلك.
٩. إنه يفيد في الحصول على نسخ بشرية، تمتلك خطوطاً خلوية، تتبع أعضاء، يمكن استعمالها كقطع غيار بشرية، أو الحصول على

نسخ بشرية لا مخ لها ، أو ميتةً دماغياً ، أو نحو ذلك ، للاستفادة من أعضائها في عملية الزرع .

١٠. يمكن به الحصول على نوع معين ذكر أو أنثى ، أو الحصول على أولاد نجاء ، أو عباقرة ، أو أبطال ، أو نخبة متميزة ، أو الحصول على أفراد مقاومين للأشعة أو لهم قامة طويلة أو قصيرة ، أو نحو ذلك من الصفات<sup>١</sup> .

#### (ب) **أضرار الاستنساخ :**

١. إن استنساخ خلية تحمل جيناتها مريضاً أو أمراضاً معينةً ، يقتضي أن يولد الأفراد الناجون من هذا الاستنساخ حاملين لتلك الأمراض ، مما يمثل خطراً عليهم ، فقد تقضي الأمراض على جميع النسخ دفعة واحدة .

٢. إن استنساخ خلية أخذت من ذكر ، ينتج نسخاً من الذكور ، واستنساخ خلية من أنثى ، ينتج نسخاً من الإناث ، ومثل هذا يحدث خللاً في نسبة نوعي الجنس البشري بالنسبة لبعضهما ، ويقضي على التوازن الفطري بين الكائنات في الطبيعة ، وقد أثبتت التجارب خطره .

٣. إن نسبة نجاح الاستنساخ ، وولادة أفراد أسواء منها ، متدينة ، ودليل هذا أن ولادة " دوللي " كانت نتيجة إجراء مأذن وسبعين تجربة اندماج ، جمع لها ألف بيضة من إناث الغنم ، فنسبة نجاح التجربة هو واحد في الألف ، والمثير للقلق ارتفاع نسبة الإجهاض التلقائي من الأجنة المستنسخة ، وارتفاع نسبة التشوهات الخلقية بها .

٤. ينشأ عن الاستنساخ وجود أفراد متطابقين في الشكل والصفات بحيث لا يمكن التمييز بينهم إلا بعمليات معقدة ، مما يتربّع عليه إشكالات عديدة ، في المعاملات المالية ، والجنائية ، والأمنية ، والاجتماعية .

٥. يتربّع عليه العبث بكثير من الخلايا والأجنة ، والخلص مما لا يمكن استنساخه منها ، وقد ينشأ عنه بنوك ومراكيز لحفظ الأجنة والخلايا الزائدة عن الحاجة ، مما يخلق سوقاً رائجة لبيع وابتياع هذه الأجزاء ، لاستخدامها في العمليات غير المشروعة .

<sup>١</sup> د . أحمد رجائي الجندي : الاستنساخ البشري بين الإقدام والإحجام ، ص ١٠ - ١٣ ، د . صالح عبد العزيز عبد الكريم : الاستنساخ نخبة فوائد ومخاطر ، ص ٢٧ ، الاستنساخ بين العلم والدين ، ص ٤٩ - ٥٠ بиولوجيا الاستنساخ ، ص ٦٥ - ٦٦ و ٨١ .

٦. قد يترتب على الاستساخ ذرية عقيمة ، لا يتحقق بها إعمار الأرض ، ولا يرجى منها حفظ الجنس البشري أو استمراره ، إذ وجد أن الضفادع المستسخة عقيمة ، وقد يكون مثل هذا في الإنسان إذا استسخ فلا يتحقق باستساخه غاية وجوده في الحياة .

٧. إن الاستساخ قد ينشأ عنه تفشي الأمراض المختلفة في النسخ ، لتنتقل عنها إلى غيرها من أفراد المجتمع ، فينشأ عنده أجيال متعاقبة ، تحمل خلاياها الجين المرض ، مما يكون له الأثر الويل في صحتهم وعطاهم ، واستمرار مسيرتهم في الحياة <sup>١</sup> .

### ثالثاً : أنواع الاستساخ :

تتم عملية الاستساخ عن طريق عدة تقنيات ، ومن ثم تتعدد أنواع الاستساخ كالتالي :

١. الاستساخ الجنسي (الجيني) : تفصل فيه الخلايا المنقسمة الناشئة عن بيضة مخصبة ؛ حيث يتم إدابة غشاء عن هذه الخلايا المنقسمة ، وبعد فصل كل خلية عن الأخرى تضاف إليها مادة لتكون عليها غشاء ، فينشأ عن هذا الفصل خلايا جينية مطابقة مع بعضها البعض .

٢. الاستساخ اللاجنسي (الجيني) : يتم في هذا النوع تفريغ بيضة الأنثى من نواتها الحاوية على الكروموسات ، ثم تنقل إليها خلية جسدية تحتوي على ٤٦ كروموسما ، وتدمج الخلية مع البيضة المفرغة بذبذبات كهربائية دقيقة منقطعة ، ليتولى السيتوبلازم المحيط بالنواة الجديدة ؛ حيث الخلية المزروعة على الانقسام ، ثم تنقل البيضة الحاملة لذلك إلى رحم الأم المستقبلة ، لتكميل نموها كالخلايا الجنسية (الجينية) ، فينتج عن ذلك فرد مطابق لأصله الذي أخذت منه الخلية الجسدية .

٣. الاستساخ العذري : يجري فيه تفعيل البيضة الأنثوية غير المخصبة بنطفة ذكرية ، بوسائل عدة لدفعها إلى النمو والانقسام مكونة جنيناً ، يتطابق مع صاحبة البيضة في الخصائص .

(للبحث صلة)

<sup>١</sup> زياد سلامه : الاستساخ في الواقع العلمي والحكم الشرعي (مجلة هدي الإسلام الأردنية ) العدد ١٠ ، المجلد ٤١ ، ص ٣٩ ، ٨٦ . د . محمد سليمان الأشقر : الاستساخ (مجلة هدي الإسلام الأردنية ) العدد ١٠ ، المجلد ٤١ ، ص ٣٧ - ٣٩ . الاستساخ بين العلم والدين ، ص ٣٨ - ٤٠ . بиولوجيا الاستساخ ، ص ٨٤ - ٨٥ .

# دور العرب في التجارة البحريّة

د . محمد أيوب الندوي \*

العرب هم أصلًا سكان شبه الجزيرة العربية . وهي منطقة جغرافية تقع في جنوب غرب آسيا عند تلاقي آسيا مع إفريقيا ، وهي أكبر شبه جزيرة في العالم . وهي محاطة من الغرب بالبحر الأحمر ، ومن الشمال الشرقي بخليج فارس ( الخليج العربي ) ، ومن الجنوب الشرقي بالحيط الهندي . ويشمل شبه الجزيرة العربية اليوم المملكة العربية السعودية وعمان واليمن والكويت وقطر والبحرين والإمارات العربية المتحدة . كما يضم بعض أجزاء من الأردن والعراق . وقد استُخدمت كلمة "جزيرة العرب" في معظم مصادر الحديث الشريف حيث طالب النبي محمد صلى الله عليه وسلم أتباعه بإبعاد اليهود والنصارى عن شبه الجزيرة العربية <sup>١</sup> .

بما أن الصحراء هي أبرز سمات شبه الجزيرة ، فإن المنطقة تعوزها المياه والمحاصيل وكثافة السكان . ويشير إلى ذلك التعبير العربي للترحيب بالضيوف "أهلاً وسهلاً" ، لأن كلمة "أهل" تعني الأشخاص المألفين ، والسهل يعني الأرض الخصبة حيث يجد المرء الأمان والغذاء . وتهطل الأمطار فقط في الجزء الجنوبي الغربي حيث توجد سلسل جبلية . وكان معظم السكان في شبه الجزيرة العربية يعملون في الأعمال التجارية حيث أدت قلة الأمطار إلى نقص الزراعة .

اعتماد التجار العرب السفر إلى بلاد الشام والأجزاء الشمالية الغربية الأخرى عبر البر والبحر الأبيض المتوسط في الصيف وإلى السندي والهندي والسيلان والسيام والصين في الشرق عبر المحيط الهندي في الشتاء . وبهذه الطريقة كانت شبه الجزيرة العربية جسراً برياً ومركزاً للتنمية الثقافية

\* مدير المركز الثقافي العربي الهندي ، الجامعة الملة الإسلامية ، نيودلهي .

<sup>١</sup> عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاخرجنَ اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، حتى لا أدع إلا مسلماً " ، أخرجه مسلم ( ١٧٦٧ ) .

في المنطقة لآلاف السنين . ويقال أيضاً : إن قافلة التجار الذين أخذوا يوسف إلى مصر كانت من التجار العرب . لذلك فإن موقعها المركزي ، مع مصر وإفريقيا في الغرب وجنوب آسيا وجنوب شرق آسيا إلى الشرق ، منحها دوراً مهماً في التاريخ الثقافي والتجاري للشعوب المختلفة .

ومن المعروف أن الحضارات البشرية نمت بشكل رئيسي على ضفاف الأنهار والسهول البحرية . ومن أبرز الأمثلة المصريون القدماء الذين استقروا بالقرب من النيل ، وأهالي بلاد ما بين النهرين في الهلال الخصيب على نهر دجلة والفرات ، والصينيون القدماء على النهر الأصفر والمهدود القدماء على نهر السند . كان هذا بسبب الإمداد المستمر بمياه الشرب وإمكانية ري المحاصيل . علاوة على ذلك ، وكان من الممكن نقل البضائع والأشخاص بسهولة . ولذلك سخر الناس من سيدنا نوح عندما بدأ في صنع السفينة بعيداً عن البحر . ولا يدل ذلك إلا على أن الناس كانوا على دراية بالقوارب والسفن حتى في بداية تاريخ البشرية .

ونأتي الآن إلى أن العرب لماذا وكيف انخرطوا في التجارة الساحلية ؟ ومنذ متى كانوا مرتبطين بهذه التجارة ؟ وما هي البراهين التاريخية التي تشير إلى انخراطهم المبكر في التجارة الساحلية ؟

هذه بعض الأسئلة التي سنتعامل معها في التالي .

لقد سبق أن ناقشنا أن نقص الأراضي الخصبة أجبر العرب على استيراد البضائع وتصديرها . وقد ذكرنا أيضاً أن العرب اعتادوا السفر غرباً وشرقاً لشراء وبيع سلع مختلفة . وكانت الكعبة في مكة المكرمة مكاناً مقدساً يزورها كثيراً جميع قبائل العرب ، وكانت هناك العديد من الأسواق الشهيرة التي تقام في الحجاز . ولم تكن هذه الأسواق محلات للبضائع فحسب ، بل كانت تقام هناك أيضاً العديد من الفعاليات الثقافية . واشتهرت سوق عكاظ لإنشاد الشعر في عصر ما قبل الإسلام . وكانت القصائد المختارة تعلق على جدران الكعبة ومنها المعلقات . وقد ذكر الله تعالى كل ذلك معتبراً فضلاً منه ونعمته في سورة الإيلاف . قال تعالى : ( لِيَلَافِ قَرِيشٍ . إِيَّالَافِهِمْ رَحْلَةَ الشَّتَّاءِ وَالصَّيفِ . فَلَيُعِدُّوْا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمْنَهُمْ مِنْ خُوفٍ ) .

شارك العرب في التجارة الساحلية منذ العصور القديمة . واعتاد

العرب السفر على الطرق البحرية قبل فترة طويلة منذ ظهور الإسلام . وازدادت هذه الأسفار بعد ظهور الإسلام . تساعدنا دراسة الأدب العربي على معرفة المجالات التي كان العرب يهتمون بها . يكتب العلامة السيد سليمان الندوي : " من الممكن ذكر ثلاثة مصادر تحدثت أن العرب سافروا في البحر وكانوا منخرطين في صناعة السفن في عصر ما قبل الإسلام . وهي مفردات اللغة العربية والشعر العربي والقرآن الكريم . وهذه المصادر تثبت أن العرب كانوا بحارة وملاحين " <sup>١</sup> .

تشمل اللغة العربية العديد من الكلمات المتعلقة بالإبحار والسفن والقوارب . وقد استعيرت بعض الكلمات من لغات أخرى . وليس ذلك إلا دليلاً على أن العرب كانوا على اتصال مع بلدان أخرى أيضاً .

وإذا درسنا اللغة العربية - لغة شبه الجزيرة العربية - وجدنا عديداً من الكلمات التي ترتبط بالبحر ارتباطاً مباشراً . فعلى سبيل المثال استخدم العرب كلمة البحر لوصف النهر والبحر كليهما في لغتهم . قال الله تعالى في القرآن الكريم : ( فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَسِّا ) <sup>٢</sup> . وكذلك نجد استخدام كلمة اليم في نفس المعنى ، كما في قصة موسى في سورة طه : ( أَنْ أَقْدِفُهُ فِي الْتَّابُوتِ فَأَقْذِفُنَاهُ فِي الْيَمِّ فَلَيْلَقُهُ الْيَمُ بِالسَّاحِلِ ) <sup>٣</sup> . وإن كلمتي " القاموس " و " حضم " أيضاً تدلان على نفس معنى البحر .

وهناك كلمتان لمعنى السفينة في اللغة العربية ، وهما " سفينة " و " فلك " ، وقد استخدمت هاتان الكلمتان في القرآن الكريم . فقد قال تعالى في موضع : ( أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لَمَسَاكِنَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ) <sup>٤</sup> ، وفي موضع آخر قال تعالى : ( وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بَاعْيَنَا وَوَحْيَنَا ) <sup>٥</sup> . وإن القرآن الكريم استخدم كلمة جارية وجوار لسفينة كبيرة . ففي سورة الرحمن قال تعالى : ( وَلَهُ الْجَوَارُ الْمُنْشَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ) <sup>٦</sup> . ومن المعروف أن القرآن الكريم يعتبر مصدراً أكثر أصلية لغة

<sup>١</sup> عربون كي جهاز راني ( الملاحة عند العرب ) ، ص ٣ .

<sup>٢</sup> سورة طه : ٧٧ .

<sup>٣</sup> سورة طه : ٣٩ .

<sup>٤</sup> سورة الكهف : ٧٩ .

<sup>٥</sup> سورة هود : ٣٧ .

<sup>٦</sup> سورة الرحمن : ٢٤ .

العربية وعلومها . وقد تحدث بالتفصيل عن المواقف المختلفة التي يواجهها البحارة في البحر . وإن الآيات التي تصور هذه المواقف نزلت على العرب الذين كانوا أول من تلقوا القرآن . وبما أنهم كانوا بالفعل على دراية بهذه المواقف فلذلك نجدهم يدركون معاني هذه الآيات القرآنية إدراكاً كاملاً ويقدرون ببلاغة هذه التعبيرات الجميلة ويشيدون بها .

يقول القرآن الكريم : ( مَرِجَ الْبَحْرِينَ يَلْقَيَانَ . بَيْنُهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَعْلَمُ . فَبَأْيَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانَ . يَخْرُجُ مِنْهُمَا الْقُلُوْبُ وَالْمُرْجَانُ . فَبَأْيَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانَ . وَلَهُ الْجَوَارُ الْمُنْشَئُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ . فَبَأْيَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانَ ) <sup>١</sup> .

وفي مكان آخر يقول الله تعالى : ( هُوَ الَّذِي سَيْرَكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَنَّهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمْ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنَوْا أَنَّهُمْ أُحْيَطُ بِهِمْ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْدِينَ لِئَنْ أَجَيَّتُنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ) <sup>٢</sup> .

وفي الآيات التالية من القرآن الكريم نجد صورةً بлагويةً جميلةً تصوّر حال البحر والبحارة تصويراً حقيقياً يدركها جيداً من كانت له معرفة بشؤون البحر ( أَوْ كَظُلْمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِيْ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلْمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ) <sup>٣</sup> .

وقد ذكر الشّعراء العرب في العصر الجاهلي العديد من الكلمات التي تتعلق بالحياة البحريّة والساخليّة . يقول الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد :

كأن حدوج المالكيّة غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد  
عدولية أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طوراً ويهتدى  
ويصور الشاعر هنا رحيل حبيبه مشيراً إلى السفن الكبيرة ،  
وكيف يصل قبطان السفينة أحياناً في البحر ، وأحياناً يهتدى للطريق .  
وهناك شاعر آخر شهير من الجزيرة العربية يسمى أعشى

<sup>١</sup> سورة الرحمن : ١٩ - ٢٥ .

<sup>٢</sup> سورة يونس : ٢٢ .

<sup>٣</sup> سورة النور : ٤٠ .

<sup>٤</sup> ديوان طرفة بن العبد ، ص ١٩ ، طبعة دار الكتب المصرية ، ٢٠٠٢ م .

الميمون ، ويمتدح سيده الذي ينعم عليه بشروة البحر المائج . فيقول :  
يكتب الخلية ذات القلاع      قد كاد جؤجئها ينحط  
تكأكأ ملاحها وسطها      من الخوف كوثلها يلتزم<sup>١</sup>  
فكمما أن الجواري المنشأت في البحر شبهت لشراعها بالأعلام  
كذلك اشتراك السفن وأعلام الجبال في اسم القلع .

ويقول شاعر آخر من العراق عمرو بن كلثوم :  
ملأنا البر حتى ضاق عنا      وموج البحر نملؤه سفيننا  
ويشير الاستخدام الكثير للأشياء المتعلقة بالبحر والشؤون  
الساحلية في مصادر الأدب العربي إلى أن العرب كانوا هم الأشخاص  
الذين كانوا على دراية جيدة بالتجارة الساحلية . وقد كانوا من أولئك  
الذين لا يخافون من السفر عبر البحار والمحيطات .

ويتبين أيضاً من الأدلة التاريخية المبثقة عن المصادر المختلفة أن  
الناس في شبه الجزيرة العربية كانت لهم علاقات عريقة وعميقة مع  
البلدان التي تقع في أو حول المحيط الهندي . فكانت تشمل هذه العلاقات  
العلاقات التجارية بين العرب والهنود . وقد اشتهرت البهارات والعطور  
والملابس الهندية بين العرب منذ بداية التاريخ . وقد جاء وصف السيفون  
المصنوعة من الفولاذ الهندي في الشعر الجاهلي وصفاً كثيراً . وإن  
الكلمات الهندية مثل كافور وزنجبيل ، والعديد من الكلمات الأخرى  
المستخدمة في القرآن الكريم هي دليل واضح على وجود اتصال عميق  
للغاية بين الهنود والعرب . وكانت هذه التجارة في الغالب تجارة ساحلية .

ومن المرجح أن العرب من شبه الجزيرة العربية كانوا أقدم الناس  
الذين كانوا على اتصال دائم بالهنود من خلال التجارة الساحلية . وكانوا  
يسافرون مراراً وبتكرار على السواحل الغربية والجنوبية للهند . وتعززت  
تجارتهم الساحلية بفضل الرياح الموسمية التي ساعدتهم في المراكب  
الشاراعية الصغيرة والسفن على القيام برحلتين في السنة على الأقل . وإن  
بحر العرب ، الذي يغسل شواطئ المنطقتين ، قام بدور كبير وهام في  
تنمية هذه العلاقات . و " كانت البضائع الهندية تنقل إلى اليمن ثم إلى

<sup>١</sup> ديوان الأعشى ، ص ١٧٤ ، طبعة وزارة الثقافة والفنون والتراث ، إدارة البحوث  
والدراسات الإسلامية ، الدوحة ، قطر ٢٠١٠ م .

بلاد الشام ، ومن هناك أخيراً إلى أسواق مصر وحتى أوروبا<sup>١</sup> . وإن ظهور الإسلام في الحجاز لم يعزز اتصال العرب بالهند والهندود فحسب ، بل إنه أضاف أيضاً بعدها جديداً . فقد استمرت التجارة بعد أن أن دخل العرب في دين الله وأوصله التجار العرب إلى منطقة مالابار على الفور تقريباً . وأصبحت مستعمرات العرب مستوطنات إسلامية ووُجِدَتْ هذه المستوطنات في الموانئ الرئيسية مثل كامباي وشاول وهوناوار . وفي المستوطنات الأخرى التي توجد على طول خليج البنغال ، يعود وجود المسلمين فيها إلى القرن الثامن الميلادي . وإن أكبر المستوطنات الساحلية العربية كانت في مالابار حيث يشكل المسلمون اليوم جزءاً كبيراً من السكان .

إضافة إلى ذلك ، كانت مكة بمثابة مركز للتجارة في شبه الجزيرة العربية . ولم يكن حج البيت في مكة مجرد عبادة ، بل تحولت مكة إلى موقع لتبادل الأفكار والبضائع . وكان تأثير التجار العرب المسلمين الذين كانوا يخرجون في أسفارهم من وإلى مكة المكرمة على طرق التجارة الأفريقية العربية والآسيوية كبيرةً وهائلاً . وهكذا تطورت الحضارة العربية الإسلامية وتوسعت إلى العالم البحري المجهول آنذاك جنباً إلى جنب مع شبكة التجارة . ويقال أيضاً : إن العرب كانوا أول من لعب دوراً حاسماً في ظهور فكرة "هندوستان" وحتى في تسمية الديانة الهندوسية .

ومن المعروف أنه قبل دخول الإسلام في الهند ، دخلت العديد من الكلمات السنسكريتية إلى اللغة العربية عن طريق التجارة . وكانت البضائع الهندية تصدر عبر شبه الجزيرة العربية إلى إفريقيا وأوروبا .

هناك ثلاث كلمات حسب قول العلامة السيد سليمان الندوبي (١٨٨٤ - ١٩٥٣م) وردت في القرآن الكريم ، وكلها مرتبطة بالنعم المباركة التي أودعها الله تعالى أهل الجنة . وهي على النحو التالي :

زنجبيل وهي كلمة مستخدمة في القرآن الكريم يعود أصلها إلى زارانجابير السنسكريتية . يقول الله تعالى في القرآن : ( وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجِبِيلًا )<sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> مختصر تاريخ هند ، سيد أبو ظفر الندوبي ، ص ٢٧ - ٢٨ ، (الأردنية) .

<sup>٢</sup> سورة الدهر : ١٧ .

والكلمة السنسكريتية الأخرى الموجودة في القرآن هي كافور . فيقول القرآن : ( إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُبُونَ مِنْ كَأسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ) <sup>١</sup> . وأما الكلمة الثالثة التي وردت في القرآن الكريم فهي المسك . يقول القرآن : ( يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ . خَتَامُهُ مَسْكٌ ) <sup>٢</sup> .

وهناك كلمات سنسكريتية أخرى كثيرة استخدمت في اللغة العربية ، ومنها " الصندل " و " العود " ( كلًاهما من أخشاب العطور ) ، والساج ( خشب الساج ) ، والقرنفل واللفلف والقسطط ، وإطريفيل ، والدازي أو تاري ( وهو نوع من الشراب ) ، النارجيل والقرمز ( نوع من اللون الأحمر ) ، وغيرها الكثير .

وإن كل هذه السلع التي تم استيرادها إلى شبه الجزيرة العربية من جنوب آسيا تدل على أن العرب هم الذين لعبوا دوراً رئيسياً في نقلها إلى مصر وأوروبا عبر تجارتهم الساحلية .

ومن الحقائق المدهشة أن هناك سلسلة من الأماكن العديدة التي تحتوي على كلمة "... bar" في آخرها كما هي الحال في جزيرة زنجبار في شرق إفريقيا ، ومدينة زنجبار في اليمن ، ومالابار في ولاية كيرالا في الهند ، ونيكوبار في جزر أندaman ، وكالابار في راجستان . فقد تكون كلمة " بار " مشتقة من كلمة " وار " باللغة السنسكريتية مثل كلمة كاثياوار ، أو من اللغة الفارسية " بور " مثل كلمة نيسابور ، أو قد تكون مأخوذة من الكلمة العربية " بر " والتي تعني الأرض .

ولعب البخاراء العرب وخاصة من الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية دوراً مهماً في تطوير التجارة في منطقة المحيط الهندي . وتتجدر الإشارة أيضاً إلى أن تجارة التوابل التي تتم عن طريق البحر من الهند وإفريقيا وعلى طول الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية كانت إحدى المساهمات الرئيسية للعرب في تجارة المحيط الهندي .

لم تنته هيمنة العرب وسيطرتهم على التجارة الساحلية إلا بعد أن غزت الدول الغربية مثل البرتغال وألمانيا وبريطانيا وغيرها الهند ، وسيطرت على شواطئ المحيط الهندي .

<sup>١</sup> سورة الدهر : ٥ .

<sup>٢</sup> سورة المطففين : ٢٥ - ٢٦ .

# **القيمة الخاقية والتربوية**

## **في كتابات العالمة أبي الحسن علي الندوى الأدبية**

### **(قصص النبيين نموذجاً)**

---

الدكتور عبد القدوس الندوى \*

---

إن القيم الخلقية في أي مجتمع إنساني هي المعيار الأساسي الذي يحدد مستوى رقيه الثقافي والحضاري والفكري ، ومن اللازم للمسؤولين أن يفكروا في إيجاد بنية صالحة وخلق جو ملائم لأبناء بلادهم ، وتوفير المواد الدراسية الملائمة لهم من نصوص أدبية مختارة ، لترسيخ القيم الخلقية والتربوية العالية في أذهانهم ، وإن المواد الدراسية المناسبة لها دور بُنَاءً في تربية القيم التعليمية والتربوية في الأطفال من الناحية العقائدية ، والخلقية ، والسلوكية ، والاجتماعية ، وهذه القيم هي التي تغير مجرى الأمور في حياتهم اليومية وتحدد مسیرتهم المستقبلية .

وإن الأطفال في أمس حاجة إلى التعليم السليم القويم ، وإلى عناء مكثفة ورعاية تامة ، وذلك لأن الفترة التي يبدأ فيها الطفل دروسه الأولى تظل ذات أثر عميق وطويل في نفسه ونشاطه واتجاهه وميوله في الحياة ، فيجب على رجال التربية والتعليم أن يستعدوا استعداداً كاملاً ويهتموا اهتماماً بالغاً بأمر تعليم أطفالهم وإمدادهم بغذاء عقلي سليم ، لأن الطفل يعتمد على أولياء أمورهم كل الاعتماد ، ويقبل منهم وينقل عنهم بدون أي مناقشة كل ما يسمعون منهم ، وما يشاهدون فيهم من قيم الخير والصدق والأمانة والعلم ، وإن الدروس الأولى التي يتلقاها الطفل في مرحلة الطفولة ترسخ في نفسه ، وتمكن من ذاته ، ويقال : إن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر .

وإن دار العلوم التابعة لندوة العلماء لعب دوراً ريادياً في هذا المجال ، بل أحدثت ثورة تعليمية في اختيار المناهج التعليمية الملائمة لأبنائها حسب متطلبات العصر ومقتضياته وفي توفير المواد الدراسية المناسبة لهم ، وذلك

---

\* الأستاذ المشارك في جامعة مولانا آزاد الوطنية (الهند) .

حينما كانت المواد الدراسية في اللغة العربية قليلة جداً على المستوى القومي ، ولم تكن العلاقات الثقافية مع الدول العربية قوية ، في البداية لم تكن تطبع المواد الدراسية الكافية في اللغة العربية في دار العلوم أيضاً ، ولكن سرعان ما بدأت الجهود لإعداد المواد الدراسية في اللغة العربية ، فتم إعداد مجموعة من الكتب العربية ، تحتوي على متون رشيقه من الأدب العربي ، وتمثل أجمل النماذج الأدبية الرفيعة من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام إلى العصر الحديث ، وتحقيقاً لهذا الهدف أعدت مجموعة من النصوص الأدبية باسم " مختارات من أدب العرب " (سنة ١٩٤٠م ) ثم تم تأليف كتاب " القراءة الراسدة " في ثلاثة أجزاء ( ما بين عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٦م ) ، وفي أدب الأطفال ألفت " قصص النبيين للأطفال " بغية التربية الدينية والروحية مع الاهتمام بتعليم اللغة العربية ، ثم تلا هذه السلسلة في التأليف ، إعداد كتب أخرى من أهمها منشورات في الأدب العربي ، والأدب العربي بين عرض ونقد ، وجغرافية جزيرة العرب ، للأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسني الندوبي ، وعلم التصريف للأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوبي ، ومعلم الإنماء ، وتمرير النحو للأستاذ عبد الماجد الندوبي ، وتمرير الصرف للشيخ محمد معين الندوبي ، والعقيدة السننية للأستاذ محمد أويس النجراحي الندوبي ، وغيرها من الكتب الدراسية ، وهذه الكتب لا تدرس في دار العلوم فحسب ، بل إنها تدرس في كل مدرسة من مدارس الهند سواء كانت رسمية أو غير رسمية وكذلك تدرس أيضاً في كل كلية أو جامعة من جامعات الهند حيث يوجد قسم اللغة العربية فيها .

والفضل في هذا المجال يعود إلى العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي<sup>١</sup> ، إنه أدرك أهمية تربية الأطفال خير إدراك ، وأعد لهم

<sup>١</sup> إن الإمام السيد أبي الحسن الندوبي ( ١٩٩٩ - ١٩١٤م ) مفكر عبقري وكاتب إسلامي كبير ومصلح ديني عظيم ، وتنسب أسرته إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما ، نشأ في بيئة دينية وعلمية وأدبية وتربى على حب الدين ، واشتغل طيلة حياته بخدمة العلوم الدينية ، والتوجيه والدعوة والإرشاد ، توفي أبوه وهو في التاسعة من عمره ، فلُمِّنته أمه القرآن ، ثم بدأ دراسته النظامية بتعلم العربية والأردية ، تلقى الحديث النبوى في ندوة العلماء ودرس تفسير القرآن الكريم ، وحصل على علوم السنة ، وبعض الفقه والتجويد والتفسير في دار العلوم ديواند ، ونشر الشيخ الندوبي أولى مقالاته في مجلة المنار ، وهو ابن سبعة عشر ربيعاً ( ١٩٣١م ) عن السيد أحمد الشهيد ، الذي كان هو موضوع أول كتبه

المواد الدراسية الشاملة والملائمة لمستواهم العقلي ، فآخر لهم مجموعةً من القصص ، باسم "قصص النبيين للأطفال" وهي تشتمل على خمسة أجزاء ، إنه كتاب رائع ألفه الشيخ الندوى للأطفال بأسلوب جميل سهل بسيط رصين ميسور ممتع شائق صادق سائع يوافق أعمارهم وأذواقهم ، ويرضي ميلولهم إذ يعرض الشيخ الندوى عن طريق هذه القصص كثيراً من المبادئ التعليمية والتربوية المهمة ، وبهدف إلى إفادتهم ، وتربيتهم ، وزيادة ثرورتهم اللغوية ، وإمتاعهم ، وتنمية مواهبهم ، وتعزيز احساسهم بالإيجابيات ، ويقدم إليهم أحسن القصص وأصدق التاريخ وأجمل الحوار وأروع الحوادث ، إن هذه السلسلة تحفة عظيمة للأطفال الناشئين ، إنهم

---

، المنشور عام ١٩٣٨ م ، اختير الإمام الندوى للتدريس في ندوة العلماء عام ١٩٣٤ م ، وصار معلماً للتفسير ، والحديث ، والتاريخ ، والمنطق ، والأدب العربي . وقد جال حواضر الإسلام في الهند للمرة الأولى عام ١٩٣٩ م ، وكان الشيخ محمد إلياس الكاندھلوي ممن التقاه في جولته ، واستفاد منه استفادة في فهم طبيعة العمل الدعوي والإصلاحي ، وأصبح السفر إلى ربوع العالم الإسلامي بعدها دينه ، داعياً إلى الله ومحاضراً وزائراً .

وفي عام ١٩٤٥ م ، اختير عضواً في مجلس إدارة ندوة العلماء ، ثم نائباً لمديراً لشؤون التعليم عام ١٩٥١ م باقتراح من العلامة السيد سليمان الندوى ، ثم مديراً لشؤون التعليم عام ١٩٥٤ م ، على إثر وفاة السيد سليمان الندوى ؛ ثم اختير سكرتيراً عاماً ورئيساً لندوة العلماء بُعيد وفاة شقيقه الدكتور عبد العلي الحسني عام ١٩٦١ م . أصدر الإمام الندوى وحرر وعمل مستشاراً لعدد كبير من الدوريات العربية والأردنية ، وأسس عدداً من الجمعيات الإسلامية ، كما كان رحمه الله عضواً في العديد من المحافل العلمية ، ومنها المجتمع العلمي العربي بدمشق ، والمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، وعضوواً موزاراً في مجمع اللغة العربية الأردني ، ورئيساً ومؤسسًا لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وقد ألقى ملتقى من المحاضرات في شتى الجامعات والمعاهد التعليمية ، منها الجامعة الملكية الإسلامية بدھلی ، وجامعة دمشق ، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .

وكان رحمه الله غير الإنتاج ، له مؤلفات كثيرة في موضوعات مختلفة ، إذ صدر له أكثر من مائة كتاب بالعربية والأردنية . أشهرها : "السيرة النبوية" ، و "رجال الفكر والدعوة" ، و "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟" ، مؤلفاته ذات قيمة دينية وخلقية وتربوية وعلمية في مجال الفكر ، والأدب ، والتاريخ ، والتوجيه ، بل في كل موضوع يهم الأمة الإسلامية في تاريخ فكرها وحالتها الاجتماعية والأخلاقية ، ومقتضيات الدعوة والتربية . وله إسهامات كبيرة في مجال إعداد النصوص الأدبية للأطفال والناشئين . وأكثر مؤلفاته الدعوية نقلت إلى لغات العالم الشهيرة ، ولا سيما إلى الإنجليزية .

سوف يجدون فيها غذاءهم العقلي الصالح المطلوب لتربيتهم الصحيحة ، وهي تعطى لهم صوراً واضحة لقصص الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه في ضوء القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والتاريخ الإسلامي الأصيل ، وهي قصص صادقة تتوافر فيها القيم الأخلاقية والعلمية والتربوية اللازمـة لتربيتهم الصالحة ، وقد سن أبو الحسن علي الندوـي في ذلك سنة حسنة ، له أجرها وأجر من عمل بها .

### قصص النبيين للأطفال :

إن الجزء الأول من "قصص النبيين للأطفال" يشتمل على قصة سيدنا إبراهيم وقصة يوسف عليهما صلوات الله وسلامه ، خاطب الإمام الندوـي من خلالها الأطفال الصغار ، وقص عليهم قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في أسلوبه الخاص ، وصور لهم ، بل جسد لهم الوضع الوثني السائد في المجتمع آنذاك بشكل يتبلور لهم مبدأ التوحيد تلقائياً وطبعياً ، وتتجلى لهم بوضوح رسالة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام الأبدية الذي بعثه الله في بيـت بائـع الأصنـام وصانـع الأوثـان والداعـية إلى عبـادة الأوثـان ، في الأسرـة التي كانت غارـقة في عبـادة الأصنـام إلى الآذـان ، وفي المحيـط الذي كان لا يـعرف سـوى الأصنـام والأوثـان شيئاً ، ولم يكن هناك أى تصور للـله الواحد القـهـار ، وفيـ مثل هـذا المـحيـط ، والـجو ، وفيـ بـؤـرة الشـرك والـفسـاد ، بـعـث الله إبرـاهـيم عـلـيـه السـلام ليـعـدـ إلى الإـنسـان الطـفـل عـقـيـدة التـوـحـيد ، ويـحـبـ إلىـهم الإـيمـان بالـلـه الـواحد الـذـي خـلـقـ الـكـون ، فـيـقولـ :

"قبل أيام كثيرة ، كثيرة جداً ، كان في قرية رجل مشهور جداً ، وكان اسم هذا الرجل آزرٌ ، وكان آزر يبيع الأصنام ، وكان في هذه القرية بيت ، بيت كبير جداً ، وكان في هذا البيت أصنام كثيرة جداً ، وكان الناس يسجدون لهذه الأصنام ، وكان آزر يسجد لهذه الصنـام ، وكان آزر يعبد هذه الأصنـام" .

"وكـان آـزر لـه ولـد رـشـيد ، رـشـيد جـداً ، وـكان اـسـم هـذا الـولـد إـبرـاهـيم ، كان إـبرـاهـيم يـرى النـاس يـسـجـدون لـلـأـصـنـام ، وـيرـى النـاس يـعـبـدون الأـصـنـام ، وكان إـبرـاهـيم يـعـرـف أنـ الأـصـنـام حـجـارة ، وكان يـعـرـف أنـ الأـصـنـام لا تـكـلم وـلا تـسـمـع ، وكان يـعـرـف أنـ الأـصـنـام لا تـضـرـ ولا تـنـفع ، وكان يـرى أنـ الذـباب يـجـلس عـلـى الأـصـنـام فـلا تـدـفع ، وكان يـرى الفـأـرـة تـأـكـل طـعـام الأـصـنـام فـلا تـمـنـع ، وكان إـبرـاهـيم يـقـولـ في نـفـسـه : لماـذا يـسـجـدون لـلـأـصـنـام ؟ وـكان إـبرـاهـيم يـسـأـلـ نـفـسـه : لماـذا

## يُسَأَلُ النَّاسُ الْأَصْنَامُ<sup>٦</sup> .

وقدَمَ ذَلِكَ بِأَسْلَوبٍ شِيقٍ يَسْتَسْبِغُهُ عَقْلُ الْأَطْفَالِ وَتَرْسِخُ فِي قُلُوبِهِمْ جَذْورٌ عَقِيْدَةُ التَّوْحِيدِ وَالنَّفُورُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، إِنْ قَضِيَّةُ التَّوْحِيدِ وَالنَّفُورِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ لَيْسَ كَسَائِرِ الْمَوَاضِيعِ ، بَلْ إِنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى لِبَاقَةً أَدْبَيَّةً وَبِرَاءَةً فَنِيَّةً لِتَقْرِيبِهَا إِلَى أَذْهَانِ الْأَطْفَالِ وَالْمُضْغَطِ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْقَاعِدَةُ الْصَّلَبَةُ الَّتِي يَرْتَقِعُ عَلَيْهَا صَرْحُ الْحَيَاةِ وَيَقْوِمُ عَلَيْهَا بَنَاءُ الْإِسْلَامِ .

ثُمَّ يَذْكُرُ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسْنِ قَصْدَةً يَوْسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّذِي أَتَتْ إِلَيْهِ النَّبُوَةُ بَعْدَ مَا مَرَّ بِعَقْبَاتٍ وَعَرَاقِيلٍ مُخْتَلِفَاتٍ ، وَبِاَخْتِبَارَاتٍ شَاقَّةٍ جَدًّا ، وَاجْتَمَعَ فِي حَيَاتِهِ خَوَارِقٌ عَدِيدَةٌ ، وَمَعْجَزَاتٌ كَثِيرَةٌ ، كُلُّهَا تَشَيَّرُ إِلَى أَنَّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامَ سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ وَمِيزَةٌ ، فَيَبْدُأُ الْإِمَامُ السَّيِّدُ أَبُو الْحَسْنِ قَصْدَةً بِهَذِهِ الصُّورَةِ الْجَمِيلَةِ الرَّائِعَةِ :

" كَانَ يَوْسُفَ وَلَدًا صَفِيرًا ، وَكَانَ لَهُ أَحَدُ عَشْرَ أَخَاً ، وَكَانَ يَوْسُفَ غَلَامًا جَمِيلًا ، وَكَانَ يَوْسُفَ غَلَامًا ذَكِيًّا ، وَكَانَ أَبُوهُ يَعْقُوبَ يُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ ، ذَاتِ لِيَلَةٍ رَأَى يَوْسُفَ رَؤْيَا عَجِيبَةً ، رَأَى أَحَدَ عَشْرَ كَوْكَبًا وَرَأَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، كُلُّ يَسْجُدَ لَهُ ، تَعْجَبُ يَوْسُفُ الصَّفِيرُ كَثِيرًا ، وَمَا فَهِمُ هَذِهِ الرَّؤْيَا ، كَيْفَ تَسْجُدُ الْكَوْكَبُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لِرَجُلٍ ؟ ذَهَبَ يَوْسُفُ الصَّفِيرُ إِلَى أَبِيهِ يَعْقُوبَ ، وَحَكَى لَهُ هَذِهِ الرَّؤْيَا الْعَجِيبَةَ ( إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَأْبَتْ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشْرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لَى سَاجِدِينَ ) ، وَكَانَ أَبُوهُ يَعْقُوبُ نَبِيًّا ، فَرَحِيْبٌ يَعْقُوبٌ بِالسُّؤَالِ عَنْ هَذِهِ الرَّؤْيَا كَثِيرًا ، وَقَالَ : بَارِكِ اللَّهُ لَكِ يَا يَوْسُفَ ، فَسَيَكُونُ لَكَ شَأْنٌ ، هَذِهِ الرَّؤْيَا بِشَارَةٍ عِلْمٍ وَنَبُوَةٍ ، وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى جَدِّكَ إِسْحَاقَ ، وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى جَدِّكَ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِنَّهُ يَنْعِمُ عَلَيْكَ وَيَنْعِمُ عَلَى آلِ يَعْقُوبَ ، وَكَانَ يَعْقُوبُ شِيخًا كَبِيرًا ، وَكَانَ يَعْرِفُ طَبَائِعَ النَّاسِ ، وَكَانَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَغْلِبُ الشَّيْطَانَ ، كَيْفَ يَلْعَبُ الشَّيْطَانَ بِالْإِنْسَانِ ، فَقَالَ : يَا وَلَدِي ! لَا تَخْبُرْ بِهَذِهِ الرَّؤْيَا أَحَدًا مِنْ إِخْوَتِكَ فَإِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكَ وَيَكُونُونَ لَكَ عَدُوًّا " .<sup>٧</sup>

إِنَّهَا قَصَّةٌ تَحْتَ الْأَطْفَالِ عَلَى دراستِهَا وَاسْتَخْلَاصِ نَتَائِجِ إِيجَابِيَّةٍ ، وَاتِّخَادِ دُرُّوسٍ وَعَبْرَ لَحِيَاتِهِمْ ، أَطْفَالًا ، إِخْوَانًا ، وَأَبْنَاءً ، وَصَغَارًا وَكُبَارًا ،

<sup>٦</sup> النَّدُوِيُّ ، السَّيِّدُ أَبُو الْحَسْنِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، قَصَصُ النَّبِيِّنَ ، جَ ١ ، صَ ٨ - ٧ .

<sup>٧</sup> النَّدُوِيُّ ، السَّيِّدُ أَبُو الْحَسْنِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، قَصَصُ النَّبِيِّنَ ، جَ ١ ، صَ ٤٥ - ٤٨ .

ومبتلين ومعاذين ، وقادةً وحكاماً ، دعاةً ومربيين ، وتطبع نفوسهم على أن العاقبة للنقوى ، وأن المظلوم منصور من الله ، وأن الله لا يضيع أجر المحسنين ، ويذكر فيها كذلك الشيخ الندوى تفاصيل حياة يوسف في ضوء حسد الإخوة له ، وما أدى هذا الحسد من نتائج وخيمة من إلقاءه في الجب ، ثم وصوله " يوسف عليه السلام " إلى عرش مصر ، ثم الكشف على الإخوة أن ملك مصر هو أخوه يوسف الذي ألقوه في غيابة الجب ، وكذلك إقراراهم بأن معنة الحسد ، إنما هي الذلة والصغر ، والحسنة والأسف ، وبين الشيخ الندوى كل ذلك بلغة جميلة وفي أسلوب قصصي جذاب .

والجزء الثاني يحتوي على قصص نوح وهود وصالح عليهما السلام ، بعد الانتهاء من الجزء الأول ارتفع مستوى الأطفال العقلي قليلاً ، وتيسّر لهم أن يفهموا القصة بأسلوب أرقى من أسلوب الجزء الأول شيئاً قليلاً ، ويزيد معلومات جديدة ، وتاريخاً جديداً ، ويستطيعوا أن يعرفوا دور الشيطان في دفع الناس إلى الوثنية وما يسطّر الله من أعمال .

الجزء الثالث يشتمل على قصة موسى عليه السلام مع فرعون مصر ، يتحدث الشيخ الندوى فيها عن حياة موسى عليه الصلاة والسلام ونبوته وموافقه مع فرعون بأسلوب ممتع جذاب ، وبلغة سهلة واضحة تظهر حكمة الله سبحانه وتعالى في ميلاد موسى في العصر المملوء بالفتن في عصر فرعون الجبار الذي ادعى الألوهية في الأرض ، ويتحدث عن هذا الدرس البليغ الذي يكشف عن جوانب قدرة الله التي لا تعد ولا تحصى ، حينما أمر أم موسى بأن تلقي ابنها في اليم ولا تخاف عليه ولا تحزن ، لأنه سيمرده إليها ، وسيجعله فوق ذلك من المرسلين ، ويتحدث عن تدبير سبحانه تعالى البليغ وعناته الخاصة بنشأة موسى وتربيته بين يدي فرعون ، مع أنه هو عدوه الأول ، ويقص على الأطفال كيف يعيد الله القوي القادر موسى الرضيع إلى أمه التي كانت خائفة جداً في أمره ، لو لا أن ربط الله سبحانه تعالى على قلبها لتكون من المؤمنين ، ويقص عليهم كيف ذهب موسى وهارون إلى فرعون وكيف علا فرعون في الأرض وبغي وتجبر ، وكيف نصر الله موسى وقهр فرعون فأهلكه - وهو أطغى الطغاة - بـ ماء السائل الرقراق ، وهكذا يفعل الله سبحانه وتعالى مع كل متكبر جبار .

ولهذه القصة التاريخية جوانب رائعة من الإيمان بالله والثقة في وعده ، ومن المعجزات التي أظهرها الله سبحانه موسى عليه السلام مع

فرعون الظالم ، وصور من الظلم والقتل والإبادة وبجانب صور أخرى من النصر المبين والمدد الإلهي الذي رافق موسى عليه السلام في كل لحظة من حياته ، فانتصر موسى الأعزل المؤمن على فرعون ذي الأسلحة والجنود والقوة المادية المهالة .

والقصة تبدأ بأسلوب سهل سائع ويعبر جميل وبعبارة واضحة مؤثرة في النفس ، تراعي نفسية الأطفال وتزود عقول الصغار بزاد من الإيمان واليقين والتوكّل والصبر والقناعة والإيثار ، مع تعليم اللغة والبيان والتعبير والأدب .

الجزء الرابع يشتمل على قصة شعيب ، وداود ، وأبيوب ، ويونس ، وزكريا ، وعيسي ابن مرريم عليهم الصلاة والسلام جميعا ، يقص الشیخ السيد أبو الحسن علي الندوی قصص هؤلاء الأنبياء على الأطفال بأسلوب جميل ورشيق وشيق وإن كان مستوى أرفع بقليل من مستوى الأجزاء السابقة ، غير أن الأطفال لا يواجهون صعوبة في إساغة معاني الكتاب ، والاستفادة من اللغة والتعبير والأدب والبيان ، بل يمهد لهم الطريق لدراسة حياة آخر الأنبياء وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة وفهمها فهماً جيداً .

الجزء الخامس يختص بسيرة سيد الأنبياء وإمام المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وبه تنتهي هذه السلسلة الذهبية ، وإن الأطفال قد درسوا قصص الأنبياء والمرسلين فقويت عقولهم واتسعت ثقافتهم ، وتجمعت لديهم ذخيرة من الكلمات العربية التي وسعت أفقهم الفكري واللغوي وفق قريحتهم للتعبير عن خواطرهم وأفكارهم بلغة عربية وأسلوب أدبي ، وإن مستوى هذا الجزء اللغوي والأدبي أرفع من الأجزاء السابقة ، يقول المؤلف في مقدمة هذا الجزء متحدثاً عن مستوى اللغوي والأسلوبي :

" ولم أنتقي في هذا الكتاب بالالتزامات التي التزمتها في الأجزاء الأولى من "قصص النبيين للأطفال" من محاكاة أسلوب الأطفال ، وطبعتهم وتكرار الكلمات والجمل ، وسهولة الألفاظ ، وبساطة القصة ، فقد شب هؤلاء القراء الصغار عن طوقهم ، وتقديموا في ثقافتهم اللغوية ، ودرجتهم العقلية ، فأصبحوا قادرين على إساغة هذا الغذاء العلمي والعقلي ، والتذوق بهذه القصة الرائعة لحياة أكبر إنسان وأشرف نبي

صلى الله عليه وسلم <sup>١</sup>.

وهذا الجزء يزود الأطفال المنتقلين من مرحلة الطفولة إلى مراحل المراهقة والشباب بزاد عقلي وأدبي ولغوي وتاريخي مع تزويدهم بمعلومات ذات قيمة كبيرة من تاريخ الأنبياء والمرسلين ، وبالتالي إنه يدعم كيانهم الخلقي بعناصر الحب والإيمان ، ويدفعهم إلى بناء مستقبل لامع لهم ولأمتهم ، وإن التأثير الذي تخلفه دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في نفوس قرائه سوف يساعدهم في بناء حياتهم المستقبلية ، ولقد تحدث المؤلف رحمة الله عن هذا الجزء وما يحويه من خصائص أدبية وتاريخية وتربوية .

هذا الجزء يعمل ك وسيط بين الكتب التي ألفت في السيرة للكبار النابغين ، والكتب التي ألفت للصغرى الناهضين ، فهو جدير بأن يدرسه الصغار والمراهقون في مدارسهم ، ويقرأه الكبار المتوسطون ، وينقل روائع حكاياتها وأخبارها إلى أصدقائهم ، وقد ذكر فيه الشيخ الندوى السيرة النبوية بدءاً من الأوضاع الدينية والاجتماعية قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام ، مروراً بميلاده ، وبعثته ، ودعوته إلى الدين الحنيف ، وهجرته إلى المدينة ، مع ذكر تاريخ الدعوة الإسلامية الأولى والمشاكل والصعوبات التي تحملها في سبيلها ، وغزوتها وفتحاتها وانتصاراتها ، وعجائب التربية النبوية ومعجزاتها ، مشيراً إلى بلوغ هذا الدين إلى ذروة الكمال بذكر قوله تعالى : ( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْمَتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأَسْلَامَ دِيَنًا ) ومنتها بذكر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وشمائله ، فأصبح الكتاب مدرسة ينشأ فيها الطالب بين إيمان وحنان ، ويترقب بين روح وريحان ، وينتهي من قراءته وقد يحمل معه الزاد الذي يسايره في حياته ، والنور الذي يسير في ضوئه ، والسلام الذي يدافع به عن نفسه وإيمانه ، والرسالة التي يحملها للعالم والأمم <sup>٢</sup> .

وأعتقد أنه قد حان الوقت لرجال الدعوة والفكر والبيان أن يقوموا بإعداد ألوان من الأدب النزية الجذاب لأبناء الأمة السمحاء ، وأن يفجروا نوابع الثقافة في صدور الناشئة الشباب عن طريق المواد الدراسية الصالحة .

<sup>١</sup> الندوى ، السيد أبو الحسن علي الحسني ، قصص النبيين للأطفال ، مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء ، لكتعبون ، الهند ، ٢٠٠٨ م ، ص ٥ .

<sup>٢</sup> نفس المصدر .

# من أبعاد التواصل في الأدب العالميّة :

## سرديات الإِسْرَاء بَيْنَ الْمُعْرِي وَدَانْتِي وَغُوْطَه وَاقْبَال

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بِقَلْمِنْ : أَ . دَ . مُحَمَّد شَاء اللَّهُ النَّدَوِي \*

### أدبيات الإِسْرَاء الْعَالَمِيَّةُ :

لا يخفى على الباحث أن سردية الإِسْرَاء تحولت إلى موروث شعبي إسلامي أفرزته المخيلة المشتركة ، ومعمار القصة وإطارها العام وعناصرها الأساسية تتوافر في أغلب ما يسمى بقصص الإِسْرَاء والمعراج من مجئ جبريل عليه السلام إلى الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقيام بالرحلة إلى بيت المقدس ، والصلة بالأنبياء إماماً هناك ، ثم الصعود إلى السموات السبع ، ومقابلة النبي الموكِل بكل سماء ، والحوار مع الملائكة لكل منها ثم زيارة الجحيم والنعيم والكلام عنمن فيهما . فتحولت إلى شبه ملحمة رغم أساسياتها من الحديث والتفسير ، ولكن ينطبق عليها ما ينطبق على الملحمة من شروط كالظروف المأساوية التي تحيط بأبطال الملاحم . وغطت مساحات ثقافية واسعة من الأدب العربي والفلسفة متمثلة في رسالة الطير لابن سينا والشهوردي وعنقاء أبي حامد الغزالى ، ورسالة الفرقان للمعري ورؤيا البسطامي وكتاب المعراج للقشيري وشورة في الجحيم للزهاوي وشاطئ الأعراف لمحمد عبد المعطي الهمشري وبين اللا نهايتين لمحمد السحاووي . كما كانت لها تجليات في الأدب الفارسي بدءاً من الحكيم السنائي في سير العباد إلى أرض المعاد ، ومنظومات فريد الدين العطار ستة آلاف بيت في موضوع المعراج ، وكتابه منطق الطير الذي هو معراج ولكن للطير<sup>١</sup> .

\* القسم العربي ، جامعة علي كره ، أوترا براديش ، ۲۰۲۰۰۲ ، الهند ، Email: sanaullahnadaawi@gmail.com

<sup>١</sup> يراجع في ذلك: نذير العظمة: المعراج والرمز الصوفي (بيروت: دار الباحث، ۱۹۸۲م).

أما تجلّيات الإِسْرَاء في الأدب الأوروبي ، فأبرزها ملحمة دانتي التي أصبحت مؤثّراتها الإسلامية من أهم الدراسات المقارنة التي دشنها المستشرق الإسباني ميجوئيل آثين بلاسيوس عام ١٩١٩م ، وأكملها كل من مونيث خوزي سندينو وأزيكو تشيرولي ، كما درسها العديد من النقاد العرب من أمثال محمد غنيمي هلال وبنّت الشاطئ وصلاح فضل ، وأخرين . أهمية بلاسيوس أنه ركز على القرائن النصية بين رائعة دانتي وجملة من الأعمال الإسلامية الأدبية والصوفية المنبنية على قصة الإِسْرَاء والمراج . ولكنه لم يتقدّم بوثيقة تاريخية تثبت هذا التأثير على طريقة الفرنسيين في الدراسات المقارنة ، فأصبح عرضة لنقد المستشرقين الطليان بخاصة وأنصار الدراسات المتعلقة بدانتي بشكل عام ، لأنهم يستكثرون أن يكون شاعر أوروبا المسيحية مديناً بعقربيته إلى مصادر إسلامية ، ولعل المستشرق غابرييلي كان يعبر عنهم حين قال : إن دانتي لا يعرف العربية وأن العلاقة (النصية) بين ملحمة دانتي وقصص الإِسْرَاء والمراج غير متوافرة<sup>١</sup> .

لكن هذه المناظرة التاريخية بين أنصار دانتي وخصومهم لم تقف عن حد القرائن النصية بين عمل دانتي والمصادر الإسلامية ، ففي عام ١٤٤٩م قام عالمان جليلان بنشر مخطوط لترجمة قصة الإِسْرَاء والمراج النسخة الأندلسية (والغربية) إلى كل من اللغة اللاتينية واللغة الفرنسية برعاية الفونسو العاشر الملقب بالحكيم في عام ١٢٦٤م في مدرسة إشبيلية للترجمة التي كان يتعهد بها ويرعاها ، وهذا المستشرقان هما الأسباني خوزي مونيث سندينو (José Muñoz Sendino)<sup>٢</sup> والطلياني إنريكو تشيهرولي (Enrico Cerulli) دون أن يعرف الواحد منها مشروع الآخر ، واعتمد كلاهما على المخطوطات المتوافرة في مكتبة آكسفورد أو مكتبة الفاتيكان . وأعاد بناء الترجمة إليها باللغة الأسبانية الحديثة لأن الترجمة إلى اللغة القشتالية (الأسبانية القديمة) ، قد ضاعت .

<sup>١</sup> انظر إنريكو شيرولي: Il Libro della Scala: e la questionedellefontiarabo-spagnole della Divina Commedia. Città del Vaticano. Muñoz Sendino, José (ed) *La Escala de Mahoma*. Traducción del árabe al castellano, latín y francés, ordenada por Alfonso X el Sabio Autor: Alfonso X: El Sabio. Ministerio de Asuntos Exteriores, ١٩٤٩.

## رسالة الغفران :

ألف أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّي التتوخي (٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م) رسالة الغفران سنة ٤٢٤ هـ ردًا على رسالة علي بن منصور الحلبي بن القارح . الرسالة المتألفة من مقدمة وقسمين تمثل وحدة بنوية كاملة ذات بعد شعري ولغوی وفلسفی . يُعرب أبو العلاء ، في المقدمة ، أولاً ، عن مودته لابن القارح بأسلوب يستخدم فيه الصنعة والسجع والبديع والألفاظ الغربية التي يعرف أنها كذلك فيشرحها ، ويستطرد مستشهدًا بالشعر . وفي القسم الأول يصف الجنّة ، ويتحدث عن اللغوين فيها ، ثم يروي رحلة الشيخ إليها "... فيركب نجيباً من تجّب الجنّة ، خلق من ياقوت ودر ، في سجسج بعده عن الحر والقر ، ومعها إناء فيهج ، فيسيراً في الجنّة على غير منهج ..." ، ويلتقي بعده من الشّعراء ويدور حوار بينه وبين كل منهم عن الشّعر والشّعراء ، ويسأله عن سبب مغفرة الله ، سبحانه وتعالى ، له ، ومنهم الأعشى وزهير بن أبي سلمى وعبيد بن الأبرص وعدى ابن زيد وأبي ذؤيب الهمذلي والنابغتان : الذبياني والجعدي ولبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت والشماخ بن ضرار وعمروبن الأحمر وتميم بن أبي ، ثم يلتقي رضوان خازن الجنان وزفر خازن الآخر وحمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه ) وأبي علي الفارسي والإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه ) والسيدة فاطمة الزهراء (رضي الله عنها ) والنبي محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم ) . ثم يعبر على الصراط بمساعدة جارية أهدته إياها السيّدة الزهراء (رضي الله عنها ) ، فيسأل إن كان معه جواز للدخول إلى الجنّة . وإذا لم يكن معه جواز ، يدخله إبراهيم بن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم ) ، فيلقى عدداً من الشّعراء الآخرين ، منهم راعي الإبل وحميد بن ثور ولبيد بن ربيعة . ويدعى إلى مأدبة تقام في الجنان ، ويلقى الحور العين . ثم يبدو له أن يطلع على أهل النار ، فيركب بعض دواب الجنّة . ويسيّر ، فيمرُّ بجنّة العفاريت وبأقصى الجنّة ، فيجد الحطّيئه والخسائ . ثم يرى أهل النار ، وهم : إبليس وبشار بن برد وامرؤ القيس وعنترة بن شداد وعلقمة بن عبدة وعمرو بن كلثوم التّغلبي والحارث اليشكري وظرفة بن العبد وأوس بن حجر والأخطل التّغلبي والمهاهل التّغلبي

والمرقشين : الأكبر والأصغر والشنفرى الأزدي وتأبّط شرّاً . ثمَّ يعود إلى الجنة فيلقى آدم ، فيسأله عن شعرٍ سبب إليه فيقول : إله من نظم بعض الفارغين . ثمَّ يضرب سائراً في الفردوس فيجد حيّاتٍ يلعبن . ثمَّ يمرُّ بأبياتٍ ليس لها ارتفاع أبييات الجنة فيسأل عنها ، فيُقال : هذه جنة الرّجز ، ثمَّ يتحدث عن سرّ أهل الجنة . وينهي هذا القسم بقوله : " وقد أطلت ، في هذا الفصل ، ونعود الآن إلى الإجابة عن الرّسالة " ، ويجيب عن رسالة ابن القارح في فصل آخر هو القسم الثاني من الرّسالة .

**دانتي وكوميديته الإلهية :**

دانتي الأليجيри ( ١٢٦٥ - ١٣٢١ م ) من شعراء العالم الذين تقل نظائر عبقرتهم الفكرية المنتجة . وتمثل كوميديته الإلهية قمة التطور الفكري والفنى والسياسي لدى شاعر هو آخر شعراء العصور الوسطى وأول شعراء عصر النهضة . والعمل المنقسم إلى ثلاثة أقسام مطابقاً لأجزاء الحياة الثلاثة الآخرة حسب الرؤى الكاثوليكية : الجحيم والبرزخ والفردوس ، والمتألف من مأة نشيد ( ١٠٠ = ١٣٣٣ + ١ ) يحوي تكويناً بنائياً مؤسساً على ثالوث الزمان والمكان والأمل . الشاعر يجد نفسه في منتصف طريق حياته في غابة مظلمة إذ ظل سواه السبيل . إنها غابة موحشة قاسية ، وكادت ثلاثة وحوش ( فهدة وأسد وذئبة ) تقضى عليه . وقد أنقذه من تلك الغابة الشاعر فرجيل الذى أرسلته بياتريتشى ( عشيقة دانتي ) . الشاعر فرجيل يمثل الحكمة ، بينما الفهدة هي الشهوات ، والأسد يرمز إلى الغطرسة ، والذئبة هي الجشع . وتبداً رحلة دانتي في الجحيم يرى من خلالها أناساً يعذبون ، هم عبيد الشهوات الذين قضى عليهم بالدوران في عواصف الجحيم ، ومن سادهم الغضب غمسوا في مستنقع النار ، والمرابون علقوا إلى أعناقهم أكياس المال التي تشدهم دوماً إلى الأرض ، والمنجمون والمناقفون والخونة وبعض القساوسة والرهبان والبابوات المتاجرين بريع الكنيسة ، وسواهם . ثم يعرج دانتي على البرزخ ليرى الآثمين وهم غير الحالدين في النار ، فيحتاجون إلى التطهير ليدخلوا الفردوس ، منهم المتعطرسون والحساد والشرهون والبخلاء . ويظهرن من ذنوبهم بحمل الأثقال والتضور جوعاً وغير ذلك .

وفي الفردوس تحل بياتريتشى محل فرجيل كدليل للشاعر ، لأن الحكمة الأرضية ( فرجيل ) لم تعد كافية للوصول إلى الثواب الإلهي ، فلا بد من حكمة إلهية دينية مماثلة في عشيقه الشاعر بياتريتشى . ورأى في الفردوس من رضى أن يراهم من الصالحين والأبرار <sup>١</sup> .

لقد شاعت شهرة الكوميديا الإلهية وتنفس بها الإيطاليون في ساحتهم العامة منذ القرن الرابع عشر ، وترجمت إلى معظم لغات العالم احتفاء بالشاعر الكبير الذي حلم السعادة لشعبه والمستقبل الظاهر للإنسانية جماء .

### **أوجه التلاقي بين رسالة الغفران والكوميديا الإلهية :**

تعود أهمية رسالة الغفران إلى القسم الأول ، فهو رحلة متخيّلة إلى الجنة ، وتمثل أوجه التلاقي بين رسالة الغفران والكوميديا الإلهية بمناخ عادة عامة وخاصة . المناخي العامّة تشمل نظم بنية قصصيّة متخيّلة في إطار العمل ، واهتمام أبي العلاء دانتى بالأديان وكلامهما على الزندقة ، وسخريةهما من بعض المعتقدات ، والاهتمام بالشعر والأدب والدفاع عن بعض الشعراء الذين عُرِفوا بالزنادقة ، وزعم أنَّ الله سبحانه وتعالى ، قد غفر لهم ، ولهذا سمى رسالته بـ "رسالة الغفران" . المعري أساساً يبدي عن آرائه في الدينيات والإلهيات بشكل إبداعي ينفي هيكله السردي في إطار واسع يشمل الإنس والجن ( الخليعور الجنى ) وال المسلمين والكافر والأسراف والعامة وأهل الشراء والفقراء . ولكن إطار دانتى أكثر شمولاً من المعري ، ومن هنا تسمية الكوميديا الإلهية بمجموعة المعارف في القرون الوسطى .

أما أوجه التلاقي من المناخي الخاصة فأبرزها أن دانتى يحاور أستاذه برونتولاتيني المذنب في النار عن حياته في الدنيا وعمن يعذبون معه من أمثال برسكيان وفرانسيسكو كروسو ، وينصح بمطالعة كتابه " الذخيرة " <sup>٢</sup> . وفي البرزخ يقابل دانتى مع الموسيقار الفلورنسي كاسيلا الذي ينشد قصيدة لدانتى ، كما يلتقي فيه مع الشاعر سورديلو ( من مانتوا )

<sup>١</sup> انظر كتابنا : أثر الإسلام على كلاسيكيات أوروبا – دانتى أنموذجاً ( على كره : منشورات سامية ، ٢٠٠٠م ) .

<sup>٢</sup> الجحيم : ٢٥ .

الذى يشى على جيدوجينى شيلي وجيدوكاول كانتى<sup>١</sup> والشاعر اللاتيني استاتيوس يسرد قصة حياته أمام دانتى وفرجيل . ويذكر عمل دنتى شخصيات مثل أينياس ، وصلاح الدين الأيوبي ، وسقراط ، وأفلاطون وأرسسطو وفرجيل وسررووسينيكا وابن رشد وابن سينا في الجحيم والقديس توما الأكوييني وسيجر دوبرابان وداود وريفيوس وآخرين في الجنة . المعري في رسالة الغفران يذكر حمدونة وتوفيق من أهل الجنة ، وهما من النساء القبيحات في الدنيا . مقابل ذلك نجد دانتى يذكر لا بيا وبكاردا دوناتى وكونيزا – وهن مثل حمدونة وتوفيق – في الجنة<sup>٢</sup> . ابن القارح يزور الجنة أولاً ثم يزور الجحيم . أما دانتى فيطلع أولاً على الجحيم . وفي بداية سفره يواجه وحوشاً ثلاثة : فهدة وأسد وذئبة ، وينجو منها برفقة فرجيل الذي يرمز إلى الحكمة الأرضية . ابن القارح يستمر في رحلته من غير أن يواجه المصاعب حتى وصوله إلى الخليعور سيد الجن الذي ينشد أبياتاً في الرجز ، ويواجه ذئبة وأسدًا عندما يزور الجحيم . وهذا – في رأى بلاسيوس – أكبر وجه يتلاقى فيه عمل المعري ودانتى<sup>٣</sup> . وحينما يعود ابن القارح من الجنة يجد حورية تتظره وتعاتبه بدلال على هذا التأخير في العودة . ونفس الدور تلعبه ماتيلدا في عمل دانتى . يجد دانتى عشيقته بياتريتشي مع الحور على شاطئ نهر ، ونفس الشئ نجده في عمل المعري الذي يشير إلى الفتاة بأنها عشيقة امرئ القيس<sup>٤</sup> .

**فاوست :**

عمل غوطه على تأليف فاوست مدةً تربو على ستين عاماً أورد فيه فاسفته للهدم والبناء وأراد من خلاله تبيه الغافلين إلى أهمية القصة لتعريف القوى الشريرة . إن فاوست هاوى الكتب ( والساحر والمشعوذ ) يبيع روحه للشيطان لفترة معينة ابتغاء اختراق أسرار الكون واستشفافها . ولما تنتهي فترة العقد يسحب الشيطان روحه إلى الجحيم . وأنشاء فترة العقد

<sup>١</sup> البرزخ : ٦ - ١١ .

<sup>٢</sup> الفردوس : ٤٩/٣ ، ٢٢/٩ .

<sup>٣</sup> انظر بلاسيوس : ص ٦٦ .

<sup>٤</sup> بلاسيوس : ص ٦٧ .

يجول الشيطان في مختلف بقاع الأرض ، ويدخل روما ليسخر من البابا ويختطف منه صحفة الطعام عندما تقدم له ، ويدخل القدس ليختفي وينفذ إلى حريم السلطان ، ويحل ضيفاً على الإمبراطور فيستحضر له سكدر المقدوني وزوجته من العالم الآخر ، ويلتقى بفلاح فيلتهم فرسه وأحمل التبن التي تجرها ، وينقلب الشيطان حماراً مجنحاً ويجب فاوست العالم على ظهره . ويتحذ الشيطان هنا اسم ميفستوفيل ( معناه باللغة اليونانية عدو فاوست ) . فاوست مولع بالكتب ويعيش فوق البشر ويتعالى عليه . ويقول عندما يسحب روحه إلى الجحيم : خافوا ربكم ، ولا تخضعوا لوسوسات الشيطان ، ولديكم الله منه <sup>١</sup> .

يضم مسرح فاوست ( في جزئيه : الأول في خمس وعشرين لحة ، والثاني في خمسة فصول ) أفكاراً فلسفيةً وجماليةً مع " فاتحة السماء " التي ينتقل فيها الشاعر إلى الموضوع رأساً : أمامه الرب والملائكة وإبليس والعالم بأسره بكل تحولات وقوانينه . وتتكلم الروح السلبية بلغة إبليس التي تنظر إلى الإنسان نظرة ازدراه ، لأنه تعس دوماً في محاولاته الحضارية لتحقيق السعادة . ومن أهم الآراء الفلسفية ما يشير إليه من تصور اللوغوس أو الكلمة : " في البدء كانت الكلمة ، لأنق هذا ، فلخير في المضى قبل أن أستوعب هذه الجملة " ، ويشرحا في الأبيات التالية بالفكر والقوة والفعل . وإبليس جزء من تلك القوة <sup>٢</sup> .

لم يعد متنازعاً أن غوطه كان واسع الثقافة في عصره ، وعرف العديد من الأعمال الإسلامية العربية والفارسية ، منها أعمال السعدي الشيرازي ، وعرف كتاب غانى " حياة محمد " الصادر سنة ١٧٣٢م ، وفكرب بوضع مسرحية عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه لم يوفق لانتهاء هذا العمل ، فلم يبق منه إلا نشرات نشرت بعد وفاته .

**جاويد نامه :**

**منظومة شاعر الإسلام والشرق محمد إقبال ( ١٨٧٣ - ١٩٣٨ م )**

<sup>١</sup> فاوست جوته ، ترجمة محمد عوض محمد ( القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٦ م ) .

<sup>٢</sup> غوطه ، المصدر السابق .

"جاويد نامه" أو "رسالة الخلود" التي كتبها بالفارسية عام ١٩٣٢م من أجمل الأدب الإسرائي . كان جلال الدين الرومي هادياً ومرشدًا لمحمد إقبال في توقعه للعروج والاتجاه إلى الله وحده بعد احتياز الزمان والمكان من خلال أفلاك سبعة ليحصل إلى جنة الفردوس . شكا إقبال "تشتت العالم الإسلامي لضعف في نفوس المسلمين ، وبسبب مصايب الاستعمار والشيوعية" ، ورأى أن العالم الإسلامي أصبح بحالة موت ولن ينقذه منها إلا عالم للقرآن الكريم . ووقع التجلي الإلهي في معراج إقبال بعد انتهاء الرحلة إلى مقام الشهد عن طريق العشق الإلهي .

هناك قواسم مشتركة بين "رسالة الخلود" لِإقبال و "رسالة الغفران" للمعري ، منها محاكمة الزنادقة ، فإذا كان المعري قد حاكم بشاراً وأمثاله فإن محمد إقبال حاكم ثلاثة من الزنادقة حين وصل إلى فلك المشتري وهم المنصور الحلاج ، والشاعر الهندي أسد الله غالب وشاعرة المذهب البابي في إيران قرة العين الطاهرة التي أعدمت سنة (١٨٥٢م) لاعتاقها هذا المذهب .

## خاتمة :

لا يخفى على من له أدنى إلمام بالتاريخ العالمي في القرون الوسطى أن الثقافة الإسلامية أضاءت أرجاء المعمورة في مشارقها وغاربها ، وتم التقاء الشرق بالغرب عن طريق الحضارة العربية في الأندلس ( ٧١١ - ١٤٩٢ م ) ، وعن طريق العرب في صقلية وجنوب إيطاليا ، وعن طريق الحروب الصليبية ( القرن الحادى عشر حتى القرن الخامس عشر الميلادى ) التي أذكىت حركة تجارية وثقافية واسعة بين الشرق والغرب وتبادلاً حضارياً وعلمياً وفكرياً . ولعبت مدارس الترجمة ( في طليطلة وبلرم وبولونة ) والمدارس اللاتينية لفلسفه المسلمين ( مدرسة ابن سينا ومدرسة ابن رشد على الأخص ) دوراً كبيراً في نشر نظريات العرب عن الأدب والشعر والفلسفة والعلم التطبيقي في أوساط الوعي والتلاقي الأوروبيين . وتصدرت مسألة التأثير العربي والإسلامي على عمل دانتي أوساط البحث الأدبي العالمي بتأليف المستشرق الإسباني ميجوويل آسين بلاثويس الذي وضع سنة ١٩١٩ كتابه عن " النشور الإسلامي في الكوميديا الإلهية " Escatologiamusulmanaen la Divina Comedia ) تكلم فيه عن أوجه

الشبه بين سردية الإسراء والمعراج في أعمال أبي العلاء المعري والشيخ الأكبر محبي الدين ابن عربى المرسي ، وأشار إلى أهمية الدور الذى مثله أستاذ دانتي برونيتي لاتيني المتنقل قشتالة وفلورنسة ، والذى ذكر قصة الإسراء في تأليفه . في عام ١٩٤٩ نشر إنريكو تشيرولى المستشرق الإيطالى وسفير بلاده في طهران مؤلفاً بعنوان : " كتاب المعراج ومسألة المصادر العربية الأسبانية للكوميديا الإلهية " ، ونشر فيه الترجمة اللاتينية والفرنسية القديمة لإحدى صور المعراج الإسلامي . كان الفونسو العاشر - ملك قشتالة - أمر بترجمة قصة المعراج إلى اللغة القشتالية ، وقام به إبراهيم الحكيم الطبيب اليهودي قبل عام ١٢٦٤ م . ثم طلب الفونسو من بونافنتورا دا سينينا أن يترجمها إلى اللغة اللاتينية والفرنسية القديمة ( مخطوطاتها موجودة في آكسفورد وباريس والفاتيكان ) .

تصدر سردية دانتي وغوطه الإسرائية الشهيرة ( الكوميديا الإلهية وفاوست ) في سياق الاستلهام من الثقافة العربية والإسلامية . يكاد يتحقق مؤرخو الآداب العالمية على أن دانتي أليجيري ( ١٢٦٥ - ١٣٢١ م ) أكبر شاعر في العصور الوسطى . بدأ حياته الشعرية مقلداً للتروبادور الذين انتقل شعرهم إلى إيطاليا من إسبانيا وفرنسا ، والمعروف ما تأثروا به من شعرية الموشحات والأزجال في الأندلس . واشتهر دانتي بعمله " الكوميديا الإلهية " الذي يتمثل ثمرة للتطور الفكري والسياسي والفنى للمؤلف ، بل سجلاً لثقافة العصور الوسطى بأسرها ، وصلة الوصل بينها وبين ثقافة عصور النهضة التي صاحت خوارزميات التطور الأدبي لإيطاليا وأوروبا الغربية بكاملها . والكتاب في أجزاءه الثلاثة ( الجحيم والبرزخ والفردوس ) عمل موسوعي يمثل الشاعر والفيلسوف والعالم والسياسي والكاتب الاجتماعي المجتمعين في شخصية دانتي والمحالين لأسرار اللاهوت والملكوت والجبروت والناسوت . وهو خلاصة تجربة شاملة وعميقة لخيط حياتي إبداعي طويل يضمن فيه ثقافة العصر وعلومه وقضايا الإنسان والفن والكلمة .

أما غوطه الألماني المستلهم بوجه خاص من سعدي الشيرازي فهو في طليعة ممثلي عصر التویر الألماني ، وهو أحد مؤسسى الأدب الألماني الحديث ، وواحد من أكبر الشعراء في تاريخ التراث البشري . هو في عمله

الأشهر " فاوست " يمثل فلسفة الحياة والعقل (اللوغوس ) ، والإيمان بالإنسان ، وفلسفة الجمال ، والصراع بين الأرواح الإيجابية والسلبية ، أو الإنسانية والشيطنة . إيمان غوطة يتجلّى في إيمان فاوست القائل بخلق الإنسان ليقوم بالأعمال العظيمة وأن يطمع إليها دون أن يبُدُّ قواه عبثاً ، بينما يأتي الشيطان حاملاً فلسفة الرفض والهدم ، وأهمية غوطة تكمن في نظرته النافذة إلى حقيقة الأنشطة البشرية المترامية في الهدم والبناء والإيجاب والسلب . وألف غوطة كتاب " نزوة العاشق " Die Laune des Verliebten على غرار حكايات ألف ليلة وليلة .

الصراع الدائري بين الإنسان وواقعه المطلوب في بناء الحضارات البشرية عبر التاريخ هو في جوهره عملية تطورية تأرجحت بين الصعود نحو الأحسن والأفضل والأنجع ، والانحدار نحو الانحطاط والتقهقر ، وتجلّى هذا الصراع في جزء محترم من الآداب الفلسفية العالمية الذي يرصد هذا الصراع ويسعى لمعرفة طبيعته من خلال الأعمال الفلسفية التي خلفها أبو العلاء المعري ودانتي وغوطة وإقبال كوحدة بنوية كاملة ذات بعد شعرى ولغوى وفلسفى ، متوزعة في وحدات حركية حاول فيها أصحابها تأليف مرايا تعكس العالم الأكبر والعالم الأصغر في جو منسجم جميل .

الولوج في البحث عن سردية الإسراء والمراجعة في الآداب العالمية مرتبطة أساساً بتحليل ظاهرة الاستهلام الفكري والشعري والأدبي ، أو ظاهرة قيام شاعر ، يكتب بلغة أخرى ، باستعارة فكرة ما أو موضوع ما أو حكاية ما عن شاعر آخر يكتب بلغة أخرى ، سبق له أن عالج تلك الفكرة أو ذلك الموضوع أو تلك الحكاية في شعره . إنها ظاهرة قديمة قدم الإنتاج الفكري الإنساني . المعري استلهم فكرة رسالته عن مراجعة النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء كما وردت في كتب السير . البسطامي والمعري وابن عربي ودانتي وغوطة وإقبال استلهموا من سردية الإسراء في أعمالهم العظيمة . معروف أن مسالات السياق والإحالة حظيت بأهمية كبيرة في جميع الأزمنة ، ولكنها تستعيد جدها بقوة وحيوية بالفتين في زماننا المعلوم الذي يبدي جدية في الخوض في الحوار بين الثقافات بمبادئ لا تخلو من النفعية القراءوسطية المريضة وبالتالي فهي محتاجة إلى التقويم .

# الزمخشري وتأييد "لن" دراسته نقدية تحليلية

الباحث لقمان أحمد يعقوب \*

## المقدمة :

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولی من الذل ، أحمسه حمداً كثيراً ، كما ينبغي لجلال وجهه ، وعظيم سلطانه .

وأصلی وأسلم على من أرسله ربّه للأنام رحمةً ، وبشيراً ، ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه ، وسراجاً منيراً ، وعلى آلـه أهل الفضل والكرم ، وأصحابه أصحاب التقى ، ومن سلك مسلكـهم إلى يوم الدين وبعد : فإن الزمخشري هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري النحوـي اللغويـ المفسـر المعـتـلـيـ ، منـ أـهـلـ خـواـرـزـمـ ، وزمخـشـرـ إـحـدـىـ قـراـهـاـ .

ويقال له : جار الله ، لأنـهـ سـافـرـ إـلـىـ مـكـةـ ، وـمـكـثـ فـيـهاـ زـمـانـاـ ، وـلـازـمـ بـيـتـ اللهـ الحـرامـ ، وـلـهـذاـ لـقـبـ بـجـارـ اللهـ .

ومن مؤلفاته : الكشاف في تفسير القرآن العزيز ، لم يصنف قبله مثله ، والمفرد والمركب في العربية ، والفائق في تفسير الحديث ، وأساس البلاغة في اللغة ، والمفصل في النحو ، والأنموذج في النحو ، وغيرها من المؤلفات النفيسة .

مع ما ثبت في الإمام الزمخشري من عقيدة الاعتزال ، فلا يمنعنا ذلك الإنصاف في شخصيته ، وأنـهـ بلاـشـكـ عـلـمـ مـنـ أـعـلـامـ الـلـغـةـ ، وجـبـلـ من جـبـالـ النـحـوـ وـالـتـفـسـيرـ ، وـمـؤـلـفـاتـهـ شـاهـدـةـ عـلـىـ ذـلـكـ ، بل لا يـدـانـيـ تـفـسـيرـهـ أيـ تـفـسـيرـ منـ نـاحـيـةـ الـبـلـاغـةـ ، لـوـلاـ مـاـ فـيـهـ مـنـ هـذـهـ عـقـيـدـةـ<sup>١</sup> ، وهـذـاـ كـثـيرـ فيـ عـلـمـائـنـاـ ، مـثـلـ أـبـيـ الـفـتحـ اـبـنـ جـنـيـ الـذـيـ هوـ جـبـلـ شـامـخـ فيـ الـلـغـةـ ، وـفـيـ

\* نزيل المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية .

<sup>١</sup> ينبغي لمنقرأ تفسير الكشاف للزمخشري أن ينتبه له ، لما في ذلك من بث عقيدة الاعتزال ، من نفي رؤية الله ، وخلق بالقرآن ، وغير ذلك ، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني : " وأما الزمخشري فتفسيره محسوس بالبدعة وعلى طريقة المعتزلة من إنكار الصفات ، والرؤية ، والقول بخلق القرآن ... " إلى آخر ما ذكر . ينظر : مجموع الفتاوى ، ٢٨٦/١٣ .

النحو والصرف ، ولا يمكن التخصص في هذه العلوم دون تلذُّذٍ على يده ، وكذلك أستاذه أبو علي الفارسي ثبت له عقيدة الاعتزال ، ومع ذلك فلا بد من الإنصاف فيهم ، وإظهار ما قدموا لخدمة هذه اللغة الباقية ببقاء القرآن والإسلام .

### المطلب الأول : حرف "لن" أصلها وعملها :

حرف (لن) من الحروف الأصلية الداخلة على الفعل المضارع ، فتتصبه بنفسها ، دون إضمار (أن) ، وأخواتها في هذا العمل هي (أن ، إذن ، كي) <sup>١</sup> .

عملها : و (لن) تقيد نفيًا في الاستقبال <sup>٢</sup> ، ويطلق عليها نفي (سيفعل ، أو سوف يفعل) <sup>٣</sup> ، ومن أمثلة دخول "لن" على الفعل المضارع قوله تعالى : (إِنَّكَ لَنْ تَخْرُقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجَبَالَ طُولاً ) (الإسراء : ٣٧) ، قوله تعالى : (وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبَعَ مِلَّهُمْ ) (البقرة : ١٢٠) ، وفي الحديث قال عليه السلام : "إنك لن تتفقّنفقة تتبعي بها وجه الله إلا أجرت عليها ، حتى ما تجعل في فم امرأتك" <sup>٤</sup> .

إذا دخلت "لن" على الفعل المضارع الصحيح الآخر ، فإنها تتصبه بالفتحة الظاهرة ، نحو : لن يجلس ، ولن يأكل .

وإذا كان المضارع معتل الآخر ، لا يخلو من أن يكون معتلاً بالألف ، أو الياء أو الواو ، فإذا كان معتلاً بالياء أو الواو فإنه تظهر عليها الفتحة ، نحو : لن يرمي ، ولن يقضي ، ولن يدعوا ، ولن يخلو ، وإذا كان الفعل المضارع معتلاً بالألف فإنه تقدر فيها الفتحة تعذرًا ، نحو : لن أخشى ، ولن أسعى ، وكما في قوله : (وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ ) .

<sup>١</sup> ينظر : شرح كتاب سيبويه ، ١٨٩/٣ ، وعلل النحو ، ص ١٩٠ ، وأسرار العربية ، ص ٥٠ ، والمقدمة الجزولية في النحو ، ص ٣٤ - ٣٥ ، ٢٢٤/٤ ، وشرح المفصل ، ٣٥ - ٣٦ ، وقال سيبويه : "اعلم أن هذه الأفعال لها حروف تعمل فيها فتتصبها لا تعمل في الأسماء ، كما أن حروف الأسماء التي تصبها لا تعمل في الأفعال ، وهي : أن ، وذلك قوله : أريد أن تفعل . وكـي ، وذلك جـتك لـكي تفعل . ولـن ، الكتاب ، ٥/٣ .

<sup>٢</sup> ينظر : شرح المفصل ، ٣٧/٥ ، وشرح التسهيل ، ١٤/٤ ، وشرح ابن الناظم ، ص ٤٧٤ ، وارشاف الضرب ، ١٦٤٣/٤ ، وهمع الهوامع ، ٣٦٥/٢ .

<sup>٣</sup> ينظر : المقتضب ، ٦/٢ ، والمقدمة الجزولية ، ص ٣٩ ، وتمهيد القواعد ، ٣٥٢٢/٧ .  
<sup>٤</sup> أخرج هذا الحديث البخاري في صحيحه ، من حديث سعد بن أبي وقاص ، رقم الحديث ٥٦ ، ينظر : صحيح البخاري ، ٢٠/١ .

واما إذا كان الفعل المضارع من الأمثلة الخمسة التي هي كل فعل مضارع اتصل بآخره ألف الاثنين أو واو الجماعة ، أو ياء المخاطبة ، وصورتها : (يفعلان تفعلان ، يفعلون تفعلون ، وتفعلين) فإنها تتصب بحذف النون ، كما تجزم بذلك ، كما في قوله تعالى : (فإن لم تَفْعُلُوا وَلَن تَفْعُلُوا ) (البقرة : ٢٤) ، وقوله : (إِنَّهُمْ لَنْ يَضْرُوْا أَللَّهُ شَيْئًا ) (آل عمران : ١٧٦) .

أصلها : وقد جرى الخلاف بين سيبويه وشيخه في أصل "لن" ، فذهب الخليل إلى أنها مركبة من كلمتين ؛ وأصلها "لا أن" "فحذفوا الهمزة من (أن) تخفيفاً ، فالنتت بعد ذلك النون الساكنة مع ألف (لا) الساكنة ، ثم حذفوا ألف (لا) ، فصار بعد الحذف والامتزاج (لن) لكتلة الاستعمال<sup>١</sup> ، وزعم أن شبيه ذلك في الحذف وفي كثرة الاستعمال ويلمه يريدون وي لأمه ، ويومئذ ، وجعلت بمنزلة حرف واحد ، وهلا بمنزلة حرف واحد ، فإنما هي هل ولا<sup>٢</sup> ، وذهب ابن مالك إلى أن هذا هو رأي الكسائي في المسألة<sup>٣</sup> .

وذهب سيبويه إلى أنها بسيطة ، وليست مركبة من كلمتين كما زعم ذلك شيخه ، وقال : "واما غيره فزعم أنه ليس في لن زيادة ، وليست من كلمتين ولكنها بمنزلة شيئاً على حرفين ليست فيه زيادة ، وأنها في حروف النصب بمنزلة "لم" في حروف الجزم ، في أنه ليس واحد من الحرفين زائداً . ولو كانت على ما يقول الخليل لما قلت : أما زيداً فلن أضرب لأن هذا اسم ، والفعل صلة فكانه قال : أما زيداً فلا الضرب له"<sup>٤</sup> . والمعروف أن ما بعد "أن" لا يعمل في ما قبلها ، ولو سلمنا لما قاله الخليل لأدى ذلك إلى إعمال ما بعد "أن" فيما قبلها ، كما في المثال الذي أتى به سيبويه<sup>٥</sup> .

وقد روى ابن يعيش وابن مالك حكاية عن ابن كيسان عن الفراء أنه رأى أن الأصل في "لن" هو "لا" ، فقلبت ألفها نوناً ، ونفي بها المستقبل ، كما أن أصل "لم" عنده "لا" ، فقلبت ألفها ميم ، ونفي بها

<sup>١</sup> ينظر : سر الصناعة ٣١٤/١ ، وأسرار العربية ، ص ٢٣٣ ، ونتائج الفكر في النحو ، ص ١٠٠ .

<sup>٢</sup> ينظر : الكتاب ، ٥/٣ ، والتعليق على كتاب سيبويه ، ١٢٦/٢ .

<sup>٣</sup> ينظر : شرح التسهيل ، ١٥/٤ ، والجني الداني في حروف المعاني ، ص ٢٧١ . الكتاب ، ٥/٣ .

<sup>٤</sup> ينظر : أسرار العربية ، ص ٢٣٣ .

عن الماضي<sup>١</sup>.

والذى يتراجع في المسألة رأي سيبويه ، وهو اختيار كثير من النحويين<sup>٢</sup> ، ومن أدلة ترجيح رأي سيبويه قوله : زيداً لن أضرب ، ولو كان أصلها ( لا أن ) ثم أجري عليها الحذف والدمج لما جاز تقديم معمول فعلها عليها كما في المثال السابق ، لأن "أن" في "لا أن" وما بعدها في تأويل المصدر ، فلا يجوز أن يتقدم عليه ما كان في حيزه<sup>٣</sup>.

**المطلب الثاني : ما قيل في الزمخشري من تأييد "لن" :**

رأى جمهور النحويين أن "لن" تدخل في الفعل المضارع ، وتفيد فيه نفي المستقبل ، أو نفي (سيفعل أو سوف يفعل)<sup>٤</sup> ، ولهذا لا يجوز الجمع بين السين أو سوف مع لن ، فلا يقال : لن سيفعل ، أو لن سوف يفعل ؛ لاستغناء ما في "لن" من معنى الاستقبال عن إعادة سوف والسين من معنى الاستقبال<sup>٥</sup> ، كما لا يجوز (سوف لن يفعل) ، بل عد ذلك الحريري من أوهام الخواص ، ونصله : " ومن أقبح أوهام جمهرة من كتاب العصر قولهم : سوف لن أفعل ذلك ، وسوف لا أفعل ذلك ، فيفصلون بين سوف والفعل بـ لا ولن وسواهما ، وهذا مالا تجيزه اللغة ، ذلك أن السين وسوف حرفاً يختصان بالمضارع ويمضيانه للاستقبال ، ولا يجوز أن يفصل بينهما وبين الفعل فاصل ، فإذا أردت الحال قلت : أناأسافر ، وإذا أردت الاستقبال قلت : أنا سأاسافر ، أو سوف أأسافر ، وإذا أردت النفي قلت : لن أأسافر غداً"<sup>٦</sup>.

ونسب ابن مالك للزمخشري أنه ذهب إلى أن "لن" تقييد نفي المؤيد<sup>٧</sup> ، وأن الفعل الذي يقع بعدها لا يحصل أبداً ، وتبع ابن مالك في ذلك كثير من شراح الألفية ، من أبي حيان<sup>٨</sup> ، والمradi<sup>٩</sup> ، وابن هشام<sup>١٠</sup> ، والأشموني<sup>١</sup> ،

<sup>١</sup> ينظر : شرح الفصل ، ٣٨/٥ ، وشرح التسهيل ، ١٥/٤.

<sup>٢</sup> ينظر : اللمحات في شرح الملحقة ، ٧٠/١ ، وشرح المقدمة المحسبة ، ٢٣١/١.

<sup>٣</sup> ينظر : شرح المفصل ، ٢٢٥/٤.

<sup>٤</sup> ينظر : المقتصب ، ٦/٢ ، والمقدمة الجزولية ، ص ٣٩ ، وتمهيد القواعد ، ٣٥٢٢/٧.

<sup>٥</sup> ينظر : التعليقة على كتاب سيبويه ، ١٢٧/٢ ، وسر الصناعة ، ٢٧٣/١.

<sup>٦</sup> درة الغواص في أوهام الخواص ، ص ٢٦٦.

<sup>٧</sup> ينظر : شرح التسهيل ، ١٤/٤ ، وشرح الكافية الشافية ، ١٥٣١/٣.

<sup>٨</sup> ينظر : ارشاد الضرب ، ١٦٤٤/٤.

<sup>٩</sup> ينظر : توضيح المقاصد والمسالك ، ١٢٢٩/٣ ، والجني الداني ، ص ٢٧٠.

<sup>١٠</sup> ينظر : معنى اللبيب ، ص ٣٧٤.

وغيرهم<sup>٣</sup> ، وهذا نص ابن مالك في شرح التسهيل : " وذكر الزمخشري في أنموذجه أن لن ننفي التأييد ، قال الشيخ رحمه الله : وحامله على ذلك اعتقاده أن الله تعالى لا يرى ، وهو اعتقاد باطل ، لصحة ثبوت الرؤية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . واستدل على عدم اختصاصها بالتأييد بمحض استقبال المنفي بها مغريا إلى غاية ينتهي بانتهائها ، كما في قوله تعالى : " (قَالُوا لَنْ تَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاقِبَنَ حَتَّى يَرَجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ) و هو واضح " <sup>٤</sup> .

وقال في شرح الكافية الشافية : " ثم أشرت إلى ضعف قول من رأى تأييد النفي ب " لن " ، وهو الزمخشري في " أنموذجه " ، وحامله على ذلك اعتقاده أن الله تعالى لا يرى ، وهو اعتقاد باطل بصحة ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعني ثبوت الرؤية<sup>٥</sup> .

ولو افترض أن الزمخشري قال بهذا القول فلا شك أنه غير سليم ، لأنه لو دلت على نفي المؤدب لما جاز أن يذكر بعدها ما يدل على انتهاء الغاية ، لِمَا في ذلك من انتهاء عمل " لن " بانتهاء الغاية<sup>٦</sup> ، ومن الشواهد التي تتقصى هذا الرأي قوله تعالى : (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا) (البقرة : ٩٥) ، قوله : (فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) (مريم : ٢٦) ، ولو كان يقتضي تأييد النفي كما قيل ، لما ذُكر معه في الآيتين لفظاً (أبد) ، و (اليوم)<sup>٧</sup> . ومن الشواهد أيضا قوله تعالى : (لَنْ تَنَالُوا الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) (آل عمران : ٩٢) ، ومفهوم الآية : أنهم إذا أنفقوا ما يحبون من الأموال ، ينتهي هذا النفي ، وينالون البر إن شاء الله<sup>٨</sup> .

وظاهر كلام ابن عيسى أن إفادته " لن " للتأييد محمول على القرينة ، وقال في قوله تعالى : (لَنْ تَرَانِي) أن ذلك لا ينفي رؤية الله الآخرة<sup>٩</sup> .

**المطلب الثالث : نقد ما قيل في الزمخشري من تأييد " لن " وتحليله :**  
سبق في المطلب السابق أن ابن مالك وكثيراً من شراح الألفية

<sup>١</sup> ينظر : شرح الأشموني ، ١٧٨ / ٣ .

<sup>٢</sup> ينظر : حاشية الصبان ، ٤٠٧ / ٣ .

<sup>٣</sup> شرح التسهيل ، ١٤ / ٤ .

<sup>٤</sup> شرح الكافية الشافية ، ١٥٣١ / ٣ .

<sup>٥</sup> ينظر : اعترافات الباقيوني الأصبهاني على النحوين ، ص ١٥٤ .

<sup>٦</sup> ينظر : شرح اللمع ، للباقيوني ، ص ٢٩٧ .

<sup>٧</sup> ينظر : اعترافات الباقيوني الأصبهاني على النحوين ، ص ١٥٤ .

<sup>٨</sup> ينظر : شرح المفصل ، ٣٧ / ٥ .

نسبوا إلى جار الله الزمخشري القول بـإفادـة "لن" نفي التأيـد ، وقد سبق أن ذكر الباحـث أنه لو افترضـت صحة ما نسبـوه للزمـخـشـري فلا شـكـ أنه غير مـسـلمـ له ، لكنـ هناـ أرادـ البـاحـثـ نـقـدـ ما نـسـبـ إـلـيـهـ فيـ هـذـهـ المسـأـلةـ ، وـتـفـاصـيلـ ذـلـكـ فـيـمـاـ يـأتـيـ :  
الـسـؤـالـاتـ الـوارـدةـ :

هل قالـ الزـمـخـشـريـ بـتأـيـدـ النـفـيـ بـ"لنـ" ؟

وـهـلـ يـمـكـنـ أـنـ تـفـيدـ "لنـ" نـفـيـ التـأـيـدـ ، وـنـفـيـ التـأـكـيدـ قـطـ ؟  
ولـوـ اـفـتـرـضـتـ صـحـةـ ماـ نـسـبـ إـلـيـهـ ، هلـ هوـ وـحـدـهـ قـالـ بـهـذـاـ القـوـلـ ؟  
أـحـاـولـ قـدـرـ الـمـسـطـاعـ إـجـابـةـ عـلـىـ هـذـهـ السـؤـالـاتـ .

الـجـوابـ الـأـوـلـ : سـأـتـرـكـ الزـمـخـشـريـ يـجـبـ عـلـىـ هـذـاـ السـؤـالـ ،  
الـذـيـ هـوـ : هـلـ قـالـ الزـمـخـشـريـ بـتـأـيـدـ النـفـيـ بـ"لنـ" ؟ يـقـولـ فـيـ تـفـسـيرـ  
الـكـشـافـ : "فـإـنـ قـلـتـ : مـاـ مـعـنـيـ لـنـ ؟ قـلـتـ : تـأـكـيدـ النـفـيـ الذـيـ تـعـطـيـهـ "لاـ"  
وـذـلـكـ أـنـ "لاـ" تـفـيـ الـمـسـتـقـبـلـ . تـقـولـ : لـأـفـعـلـ غـدـاـ ، فـإـذـاـ أـكـدـتـ نـفـيـهاـ  
قـلـتـ : لـنـ أـفـعـلـ غـدـاـ . وـالـعـنـيـ : أـنـ فـعـلـهـ يـنـاـيـفـ حـالـيـ ، كـقـولـهـ لـنـ يـخـلـقـواـ ذـبـابـاـ  
وـلـوـ اـجـتـمـعـواـ لـهـ فـقـولـهـ لـأـتـدـرـكـهـ الـأـبـصـارـ نـفـيـ لـلـرـؤـيـةـ فـيـمـاـ يـسـتـقـبـلـ . وـلـنـ تـرـانـيـ  
تـأـكـيدـ وـبـيـانـ ، لـأـنـ المـنـفـيـ مـنـافـ لـصـفـاتـهـ "١ـ .

وـقـالـ فـيـ مـوـضـعـ آـخـرـ فـيـ تـفـسـيرـ سـوـرـةـ الـكـافـرـوـنـ : "لـأـعـبـدـ أـرـيـدـ  
بـهـ الـعـبـادـةـ فـيـمـاـ يـسـتـقـبـلـ ، لـأـنـ "لاـ" لـاـ تـدـخـلـ إـلـاـ عـلـىـ مـضـارـعـ فـيـ مـعـنـيـ  
الـاسـتـقـبـالـ ، كـمـاـ أـنـ "ماـ" لـاـ تـدـخـلـ إـلـاـ عـلـىـ مـضـارـعـ فـيـ مـعـنـيـ الـحـالـ ، أـلـاـ  
تـرـىـ أـنـ "لنـ" تـأـكـيدـ فـيـمـاـ تـفـيـهـ "لاـ" ٢ـ .

يـتـضـحـ فـيـ نـصـهـ الـأـوـلـ أـنـ إـقـرـارـ الزـمـخـشـريـ بـمـذـهـبـ الـاعـتـزـالـ لـيـسـ  
فـيـ "لنـ" فـحـسـبـ ، حـتـىـ فـيـ "لاـ" ، وـذـلـكـ مـنـ قـولـهـ : "لـأـتـدـرـكـهـ الـأـبـصـارـ" فـقـالـ :  
لـلـرـؤـيـةـ فـيـمـاـ يـسـتـقـبـلـ ، وـلـمـ يـقـلـ بـتـأـيـدـ "لنـ" هـنـاـ ، لـأـنـ فـيـ تـفـسـيرـ الـبـقـرةـ ،  
وـلـاـ فـيـ تـفـسـيرـ الـكـافـرـيـنـ ، وـدـلـلـ ذـلـكـ عـلـىـ نـفـيـ مـاـ نـسـبـ إـلـيـهـ مـنـ تـأـيـدـ "لنـ" ٣ـ .

وـقـالـ فـيـ الـمـفـصـلـ : "وـلـمـ لـتـأـكـيدـ مـاـ تـعـطـيـهـ لـاـ مـنـ نـفـيـ الـمـسـتـقـبـلـ  
تـقـولـ : لـأـبـرـحـ الـيـوـمـ مـكـانـيـ فـإـذـاـ أـكـدـتـ وـشـدـدـتـ قـلـتـ لـنـ أـبـرـحـ الـيـوـمـ  
مـكـانـيـ قـالـ اللـهـ تـعـالـيـ : (لـأـبـرـحـ حـتـىـ أـبـلـغـ مـجـمـعـ الـبـحـرـيـنـ) ، وـقـالـ تـعـالـيـ :  
(فـلـأـبـرـحـ الـأـرـضـ حـتـىـ يـأـذـنـ لـيـ أـبـيـ) ٤ـ .

١ـ تـفـسـيرـ الـكـشـافـ ، ١٥٣/٢ـ .

٢ـ تـفـسـيرـ الـكـشـافـ ، ٤ـ . ٨٠٨/٤ـ .

٣ـ الـمـفـصـلـ فـيـ صـنـعـةـ الـإـعـرـابـ ، صـ ٤٠٧ـ .

وهذا المفصل هنا نفي ما نسب إليه أيضاً في إفادة "لن" نفي التأييد ، ولم يقل أحد من العلماء بتصحيف هذه الكلمة في هذين الكتابين من التأييد إلى التأكيد ، وبهذا نعترض على ما نسب إليه .

الآن بقي كتاب واحد له أورد فيه هذا الرأي ، وهو وجه الإشكال ، لكن تحليل ذلك ونقده فيما يأتي :

سبق أن أشرت إلى أن ابن مالك أول من أثبت هذا الرأي للزمخشيри ، وأنه قاله في كتابه ( الأنموذج في النحو ) ، لكن بعد العودة إلى نسخة كتابه ، خاصة بتحقيق سامي بن محمد المنصور ، يتضح خطأ ما نسب إليه ، وإنما أثبتوه له تصحيفاً ، قال ابن مالك : " ذكر الزمخشيري في أنموذجه أن لن نفي التأييد " <sup>١</sup> ، هذا تصحيف ، والثابت في الأنموذج هو قوله : " ولن " نظيرة " لا " في نفي المستقبل ، ولكن على التأييد " <sup>٢</sup> .

وقد تقطن بعض النحويين إلى هذا ، ولم يوافق ابن مالك على هذه النسبة ، ومن هؤلاء العلماء ناظر الجيش ، حيث قال : " ونقل المصنف عن الزمخشيри أنه ذكر في أنموذجه أنها لتأييد النفي ، وإنما ذكر المصنف الأنموذج ؛ لأن الزمخشيري قال في الكشاف عند الكلام على قوله تعالى : ( فإن لم تفعلاً ولن تفعلاً ) : " إن " لا " و " لن " في نفي المستقبل أختان ، إلا أن في " لن " توكيداً وتشديداً " <sup>٣</sup> . ولم يتعرض لذكر التأييد ، فكأن الزمخشيри له في المسألة قولان " <sup>٤</sup> .

ومما يدل على عدم صحة ما نسب إليه ، أن ابن يعيش لم يتعرض لهذا في شرح المفصل للزمخشيري ، وإنما رأى دلالة " لن " على نفي المؤبد تكون بالقرينة <sup>٥</sup> ، ولم ينقل عن الزمخشيري بأنه قال بذلك ، ولو ثبت في الأنموذج – ولم يكن تصحيفاً من تأييد إلى تأكيد – كم نسب إليه ، لنقله عنه ابن يعيش وشرح كتابه .

وسئل مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية عن المسألة ، فأجاب : " الفتوى ( ٣٦٠ ) : مَاذَا تَفِيدُ " لَنْ " ؟ سؤال من سليمان :

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، أشكركم جزيل

<sup>١</sup> شرح التسهيل ، ١٤/٤ .

<sup>٢</sup> الأنموذج في النحو ، ص ٢٢ .

<sup>٣</sup> تمهيد القواعد ، ٤٢٢/٨ .

<sup>٤</sup> ينظر : شرح المفصل ، ٣٧/٥ .

الشكر على الفوائد الرائعة التي يقدمها أعضاء المجمع . ولـي سؤال يستوقفني كثيرا حول "لن" ، فلقد ذكر جملة من النحوين أن "لن" عند الزمخشري تفيد التأييد ، لكن أين ورد قول للزمخشري يفيد هذا الأمر . بارك الله فيكم ، وجزاكم الله عنا خيرا . (الفتوى ٣٦٠) : من رأى الزمخشري أن "لن" تأكيد نفي المستقبل ، على حين "لا" لنفيه دون تأكيد قال في المفصل : "تقول : لا أبرح اليوم مكانى ؛ فإذا أكدت وشددت قلت : لن أبرح اليوم مكانى" .

وقال في الكشاف : إن قلت : فما معنى "لن" ؟ قلت : تأكيد النفي الذي تعطيه "لا" ؛ وذلك أن "لا" تبني المستقبل ، تقول : لا أفعل غدا ، فإذا أكدت نفيها قلت : لن أفعل غدا" .

وقد ورد في بعض سعـنـكـاتـابـ الأنـمـوذـجـ فيـ النـحـوـ للـزمـخـشـريـ : "تأيـيدـ النـفـيـ" . بدلاـ منـ "تأـكـيدـ النـفـيـ" . ويـبـدوـ أـنـهـ تـصـحـيفـ ؛ لأنـ التـأـيـيدـ هـوـ الـمـنـاسـبـ لـمـذـهـبـهـ فيـ الرـؤـيـةـ ، والنـحـويـونـ يـخـالـفـونـهـ فيـ ذـلـكـ ، فيـذـكـرـونـ أـنـ (لاـ) عـامـةـ فيـ النـفـيـ ، وـ (لنـ) لـنـفـيـ المـسـتـقـبـلـ خـاصـةـ ، وـلـيـسـ لـتـأـكـيدـهـ وـلـاـ تـأـيـدـهـ ، وـالـأـدـلـةـ عـلـىـ صـوـابـ مـذـهـبـ النـحـويـنـ وـافـرـةـ . وـمـعـ ذـلـكـ لـاـ يـمـتـنـعـ فـهـمـ التـأـيـدـ مـتـنـ أـعـانـ عـلـيـهـ سـيـاقـ الـكـلـامـ . وـالـذـيـ يـرـجـعـ دـلـالـةـ التـأـيـدـ أـنـ اـبـنـ يـعـيـشـ ، شـارـحـ المـفـصـلـ ، نـصـ عـلـىـ فـهـمـ الـمـصـطـلـحـ ، قـائـلاـ : "اعـلـمـ أـنـ لـنـ مـعـنـاهـاـ النـفـيـ ، وـهـيـ مـوـضـوـعـةـ لـنـفـيـ الـمـسـتـقـبـلـ ، وـهـيـ أـبـلـغـ فـيـ نـفـيـهـ مـنـ "لاـ" ، لأنـ "لاـ" تـنـفـيـ يـفـعـلـ "إـذـ أـرـيدـ بـهـ الـمـسـتـقـبـلـ ، وـ "لنـ" تـنـفـيـ فـعـلـاـ مـسـتـقـبـلـاـ قـدـ دـخـلـ عـلـيـهـ أـلـسـينـ وـسـوـفـ ، وـتـقـعـ جـوـابـاـ لـقـولـ الـقـائـلـ : سـيـقـوـمـ زـيـدـ ، وـسـوـفـ يـقـوـمـ زـيـدـ . وـالـسـيـنـ وـسـوـفـ تـقـيـدـانـ التـنـفـيـسـ فيـ الـزـمـانـ ، فـلـذـلـكـ يـقـعـ نـفـيـهـ عـلـىـ التـأـيـدـ وـطـوـلـ الـمـدـةـ" .

والله أعلم .

اللجنة المعنية بالفتوى : أ . د . محمد جمال صقر ( عضو المجمع ) .

د . عبد الله الأنصاري ( عضو المجمع )

أ . د . عبد الرحمن بودرع . (نائب رئيس المجمع)

وقولهم بوقوع تصحيف ( التأييد ) إلى ( التأكيد ) في كتاب أنموذج ليس بسديد ، لورود ما يخالف ذلك في كتبه الأخرى ، وينبغي أن يحمل المشبه على الواضح ، لأن الواضح في كتاب المفصل ، وتفسير الكشاف ، أن "لن" تقيد تأكيد النفي ، وأما ما في ( الأنموذج ) فاختلاف فيه العلماء ، منهم من قال حصل فيه التصحيف من ( التأييد )

إلى (التأكيد) ، ومنهم من قال : حصل التصحيف من (التأكيد) إلى (التأييد) ، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من البحث عن كلامه الآخر ، وبعد الرجوع إلى جميع مؤلفات الزمخشري ، وجدنا فيها تأكيد النفي ، وهذا يدل على صحة من قال بتصحيف (التأكيد) إلى (التأييد) ، ولهذا لم يثبت ناظر الجيش هذا الكلام للزمخشري ، لما ظهر له خلاف ما نسب إليه ابن مالك ، وغيره .

وبهذا قد أجبت عن السؤال الأول الذي هو : هل قال الزمخشري بتأييد نفي "لن" ؟ والجواب : لا .

السؤال الثاني : هل يمكن أن تفيد "لن" نفي التأييد ، ونفي التأكيد فقط ؟

لا أعتقد أن أحداً قال بمنع إفادة "لن" نفي التأييد على الإطلاق ، خاصة إذا دلت على ذلك القرينة ، أو الدلالة الخارجية ، وإنما الإشكال القول بإفادتها التأييد في كل وقت ، وفي كل استعمال ، ولا أعتقد أن أحداً قال بهذا أيضاً غير ما نسب لفرقة المعتزلة ، وبهذا قال ابن عييش ، وغيره ، وهذا قوله : "اعلم أن "لن" معناها النفي ، وهي موضوعة لنفي المستقبل ، وهي أبلغ في نفيه من "لا"؛ لأن "لا" تتفق "يُفْعَل" إذا أريد به المستقبل ، و "لن" تتفق فعلاً مستقبلاً قد دخل عليه السين وسوف ، وتقع جواباً لقول القائل : "سيقوم زيد" ، و "سوف يقوم زيد" . والسين وسوف تفيدان التتفيس في الزمان ، فلذلك يقع نفيه على التأييد وطول المدة ، نحو قوله تعالى : (وَلَنْ يَمْنَأُوا أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ) إلى قوله : "فذكر الأبد بعد "لن" تأكيداً لما تُعطِيه" لـ"من النفي الأبدى . ومنه قوله تعالى : (لَنْ تَرَأَيِ) ، ولم يلزم منه عدم الرؤية في الآخرة؛ لأن المراد أنك لن تراني في الدنيا ، لأن السؤال وقع في الدنيا ، والنفي على حسب الإثبات" . وهذا اختيار السيوطي ، وأن إفادة التأييد في دلالة خارجية ، وليس في "لن" فقط .

هذا جواب في دلالة "لن" لتأييد النفي ، وأن ذلك يكون بالقرينة ، أو الدلالة الخارجية ، وهل تفيد تأكيد النفي ؟ الجواب : نعم ، وبهذا قال كثير من النحوين ، قال الصبان في حاشيته على شرح الأشموني :

<sup>١</sup> شرح المفصل ، ٣٧/٥ - ٣٨ .

<sup>٢</sup> ينظر : همع الهوامع ، ٣٦٦/٢ .

" وافقه على التأكيد كثيرون " <sup>١</sup> ، وهذا اختيار السيوطي ، ونسبة لابن الخباز ، ووصف من خالف في هذا بالمخايبة ، ونصه : " وَوَافَقَهُ عَلَى إِفَادَةِ التَّأْكِيدِ جَمِيعَهُمْ أَبْنُ الْخَبَازِ ، بَلْ قَالَ بَعْضُهُمْ إِنْ مَنَعَهُ مُكَابَرَةً فَلِذَا اخْتَرَهُ دُونَ التَّأْكِيدِ " <sup>٢</sup> ، وهو اختيار صاحب حماة في ( الكناش ) <sup>٣</sup> وابن الأثير في البديع <sup>٤</sup> ، والحازمي في شرح ألفية ابن مالك <sup>٥</sup> . وبهذا يتضح أن دلالة " لن " لتأكيد دلالة خارجية ، وليس في " لن " وحدها ، وأنه ليس الزمخشري وحده من قال بإفاده تأكيد " لن " . **الخاتمة ، وأهم ما توصلت إليه في المسألة :**

الحمد لله رب العالمين ، القهار المنان ، الذي يمن على عباده الصالحين برؤيته يوم القيام ، حيث قال : ( لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزَيَادَةً ) ( يونس : ٢٦ ) ، قال ابن كثير : " وزيادة على ذلك أيضاً ، ويشمل ما يعطى لهم الله في الجنان من القصور والحوافر والرضا عنهم ، وما أخفاه لهم من قرة أعين وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه لا يستحقونها بعملهم ، بل بفضله ورحمته ، وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق وغيرهم من السلف والخلف " <sup>٦</sup> ، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك . والصلوة والسلام الأتمان الأكمالان على من بعثه ربه بشيراً وندراً ، القائل في شأن أهل الجنة : " والذى نفسي بيده ، ما أعطاهم شيئاً هو أحب إليهم ولا أقر لأعينهم من النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى " ( أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ، ص ١٠ ) ، وعلى آله الطاهرين الطيبين ، وأصحابه الغرماء ، وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد : فإن هذه جولة علمية بحثية تحل مشكلة ما نسب لعالم من علماء

<sup>١</sup> حاشية الصبان على شرح الأشموني ، ٤٠٧/٣ .

<sup>٢</sup> همع المقام ، ٣٦٦/٢ .

<sup>٣</sup> ينظر : الكناش في فني النحو والصرف ، ١٤٨/٢ .

<sup>٤</sup> ينظر : البديع في علم العربية ، ٥٩٢/١ .

<sup>٥</sup> ينظر : شرح ألفية ابن مالك ، الدرس ١٠/١٠٩ .

<sup>٦</sup> تفسير ابن كثير ، ٢٢٩/٤ .

النحو والصرف واللغة ، ألا وهو جار الله الزمخشري ، وقد حاولت أن أدرس هذا البحث دراسة نقدية تحليلية ، وقد توصلت إلى أهم النتائج ، وهي كما يأتي :

- الإقرار بأن الزمخشري لم يقل بتأييد "لن" ، وما في كتبه خلاف لما نسب إليه .
  - أن الإقرار بمذهبه الاعتزالي ليس في تأييد "لن" ، بل ذكر ذلك حتى في "لا" ، كما سبق بيان ذلك في قوله تعالى : (لَا تُنْذِرَ كُمَّ الْأَبْصَارُ ) .
  - أن "لن" قد تقيد تأييد النفي ، لكن مع الدلالة الخارجية ، أو السياقية ، أو القرينة .
  - أن ابن مالك أول من نسب هذا القول للزمخشري ، وتبعه في ذلك جل شراح الألفية .
  - أن دلالة "لن" للنفي ، أكد من دلالة "لا" للنفي .
  - أن المسألة المُشْبِهَة تُحمل على المسألة الواضحة ، حيث إن ما في الأنموذج للزمخشري مشبه ، ولا بد أن يحمل على الواضح في الكشاف ، والمفصل ، وغيرهما من كتبه .
  - أن دلالة "لن" على تأكيد النفي ليس الزمخشري وحده من قال بها ، بل قالها كثير من النحويين ، المتقدمين والمحققين المعاصرین .
  - الإقرار بمذهب المعتزلة ، وبأن الله سبحانه وتعالى لا يرى يوم القيمة باطل ، وقد أثبت القرآن الكريم والسنة النبوية ذلك في مواضع عديدة ، خاصة في السنة كما تقدم .
  - أن ما حمل العلماء على هذا القول فيه هو ما ثبت في عقيدة الاعتزال بأن الله لا يرى يوم القيمة ، وأن الزمخشري ثبت في هذه العقيدة .
  - أن في كتابه ( الأنموذج في النحو ) تصحيفا ، حيث صحف لفظ التأكيد إلى التأييد .
- وفي الختام ، إنما هذا العمل محاولة بسيطة لإزالة الشبهة عما نسب للزمخشري في عمل "لن" ، وهو بريء منه ، وهذا لا يعني الإقرار بمذهب المعتزلة ، بل لدفع وإزالة ما نسب إليه مما لم يقل به ، وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .
- وصل اللهم وسلم على خير خلقه ، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيمة ، وسلم تسليما .

## عالٰم يتعجل إعدامه ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم

الدكتور غريب جمعة - جمهورية مصر العربية

يقص علينا التاريخ الأمين الصادق أروع القصص عن العلماء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وباعوا أنفسهم له جل جلاله فضربوا أروع الأمثلة في الإيمان القوي الذي لا تزعزعه الشدائـد وإن عظمت والصبر الجميل على المكاره وإن أوجعت ، والاستهانة بالضحـية ولو كانت بالنفس ما دامت في سبيل الله .

وهيـا بـنا نـتـعـرـفـ بـإـيـجاـزـ عـلـىـ وـاحـدـ مـنـ أـوـلـئـكـ العـظـمـاءـ الـذـينـ صـارـوـ كـالـنجـومـ يـهـتـدـيـ بـهـاـ الـمـدـلـجـونـ وـالـغـيـثـ الـذـيـ يـنـتـجـعـهـ الـظـامـئـونـ .  
إـنـهـ الـعـالـمـ الـجـلـيلـ الشـيـخـ عـاطـفـ الـاسـكـلـيـيـ الـذـيـ لـاـ يـعـرـفـهـ إـلـاـ  
الـقـلـيلـ بلـ رـبـماـ أـقـلـ مـنـ الـقـلـيلـ . فـمـنـ هـوـ هـذـاـ الـعـالـمـ الـمـجـاهـدـ الـذـيـ تعـجلـ  
إـعدـامـهـ لـيـلـحـقـ بـحـبـبـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ .  
**الاسم والنشأة والتعليم والمناصب التي تولاها :**

اسـمـهـ :ـ مـحـمـدـ عـاطـفـ وـيـطـلـقـ عـلـيـهـ عـاطـفـ أـفـنـديـ أـوـ عـاطـفـ خـوـجـةـ  
وـكـلـتـاـ الـكـلـمـتـيـنـ (ـأـفـنـديـ وـخـوـجـةـ)ـ تـعـنيـ عـالـمـ الـدـيـنـ بـالـتـرـكـيـةـ .

ولـدـ -ـ يـرـحـمـهـ اللـهـ -ـ عـامـ ١٨٧٦ـ مـ فيـ قـرـيـةـ طـوـنـجـاـ التـابـعـةـ لـاسـكـلـيـبـ  
فيـ مـنـطـقـةـ الـأـنـاضـولـ فيـ بـيـتـ عـرـفـ بـالـعـلـمـ وـالـخـلـقـ الـكـرـيمـ وـعـلـوـ النـسـبـ .  
وـقـدـ بـدـأـ تـعـلـيمـهـ الـأـوـلـيـ عـامـ ١٨٩١ـ مـ فيـ اـسـكـلـيـبـ ثـمـ اـنـتـقلـ إـلـىـ  
استـانـبـولـ عـامـ ١٨٩٣ـ مـ فـأـنـهـ درـاسـتـهـ الـدـيـنـيـهـ وـعـمـرـهـ سـتـةـ وـعـشـرونـ عـامـاـ .

ثـمـ حـصـلـ عـلـىـ إـجازـتـهـ الـعـلـمـيـةـ عـامـ ١٩٠٢ـ مـ ثـمـ التـحـقـ بـكـلـيـةـ الـإـلـهـيـاتـ  
التـابـعـةـ لـجـامـعـةـ اـسـتـانـبـولـ وـتـخـرـجـ فـيـهاـ بـتـفـوقـ عـامـ ١٩٠٥ـ مـ ،ـ وـعـيـنـ مـعـلـمـاـ فيـ  
جـامـعـ الـفـاتـحـ وـهـكـذـاـ بـدـأـ حـيـاتـهـ الـوـظـيفـيـةـ بـالـتـدـرـيـسـ وـلـكـنـهـ لـمـ يـقـفـ عـنـهـ  
فـقـطـ بـلـ شـارـكـ بـمـقـالـاتـهـ فـيـ مـجـلـتـيـ "ـبـيـانـ الـحـقـ"ـ وـ "ـصـرـاطـ مـسـتـقـيمـ"  
وـكـانتـاـ مـنـ أـشـهـرـ الـمـجـلـاتـ فـيـ الدـوـلـةـ الـعـشـمـانـيـةـ فـيـ وـقـتـهـاـ .

بـلـ إـنـهـ حـيـنـمـاـ أـجـرـيـتـ الـاـنـتـخـابـاتـ فـيـ عـهـدـ الـاـتـحـادـ وـالـتـرـقـيـ اختـارـهـ  
أـهـلـ جـوـرـوـمـ نـائـبـاـ عـنـهـمـ فـيـ الـبـرـلـانـ الـتـرـكـيـ فـاـنـتـقـدـ حـكـمـ الـاـتـحـادـ وـالـتـرـقـيـ  
بـكـلـ جـرأـةـ وـصـراـحةـ .

ثم عُين مديرًا عامًا للمدرسة الداخلية باستانبول فنهض بها نهضةً كبيرةً جعلتها محطةً رحال طلبة العلم وكذلك المسلمين الوافدين إلى استانبول من تركيا ومن كل جهات العالم حيث كان الشيخ مرجعاً للفتوى في أمور دينهم ولم يرد قاصداً فزاده الله علماً ورفع شأنه بين المسلمين .  
ولم يكن عمله مديرًا للمدرسة سالفة الذكر ليحول بينه وبين التدريس في أماكن أخرى فقد قام بتدريس مادة التفسير بالقسم العالي بمدرسة دار الخلافة ومادة حكمة التشريع في مدرسة القضاء في استانبول .  
كما اتجه إلى خدمة المجتمع الذي يعيش فيه فقام بتأسيس جمعية ( تعالى إسلام ) أي رفعة الإسلام التي كانت أول من احتاج على عدوان اليونان على منطقة أزمير وطالبت برد هذا العدوان .

#### **فَكْرُ الشِّيخِ :**

من حق ذلك العالم الجليل أن نتعرف على فكره لنعرف كيف كان فهمه للإسلام ، وذلك من خلال مؤلفاته ، وقد أورد الكاتب التركي الكبير نجيب فاضل قائمة بمؤلفات عاطف أفندي في كتابه بعنوان : " المظلومون من الإسلاميين في العهد الأخير ، الذي أصدره في استانبول عام ١٩٧٧ م وهي كالتالي وكلها باللغة التركية :

١. مرأة الإسلام
  ٢. طريق الإسلام
  ٣. دعوة الإسلام
  ٤. المسكرات في الإسلام
  ٥. القوات البرية والبحرية في نظر الشريعة
  ٦. تقليد الفرنجية والقبعة . وكان هذا الكتاب سبباً للحكم عليه بالإعدام شنقاً كما سيأتي في الصفحات التالية .
- يقول الشيخ في كتابه " مرأة الإسلام " : " مذهب أهل السنة والجماعة هو الحق وما عدا ذلك فهو باطل ، واعتقاد أهل السنة هو الطريق الحق المستقيم والذي بينه الله تعالى في القرآن الكريم والذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الشريفة وليس في اعتقاد من اتبع هذا أي اعوجاج " .
- ثم يعرف الخليفة بأنه هو خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

ومهمته ولاية الأمور الدينية والدنيوية وهو الرئيس العام الذي يدير كل هذه الأمور بشرط أن يكون مسلماً حراً ذكراً بالغاً قادراً على إدارة أمور الأمة وعلى الحفاظ على البلاد وعلى تنفيذ أوامر الدين .

ثم يبين أن على الرعية مسلمين وغير مسلمين اطاعة أوامر الخليقة التي تتفق مع الشريعة الإسلامية وأن يكونوا جنوداً يطيعونه ولا يعصونه ولا يقومون ضده ، أما تنفيذ أوامره التي تخالف الشريعة فحرام .

ثم يوضح مسؤولية الأمة تجاه شرع الله فيقول : " أيتها الأمة إذا كنتم تريدون التخلص من الظلم وإذا كنتم تريدون التحرر من الأسر فاكسبوا أنفسكم القدرة على الوفاء بواجباتكم الشرعية ، لا تقبلوا أي ظلم ولا أي عمل يخالف الدين " .

تلك شذور من فكر الرجل تبين مدى فهمه للإسلام وجهاه لتعريف الناس على الوجه الصحيح .

#### محنة الشيخ :

قام حزب الاتحاد والترقي بخلع السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٩م وهو حزب تسيطر عليه عناصر الحركة الماسونية مع الدعم العالمي بتحريض من اليهود وهو حزب يختلف فكره مع الفكر الإسلامي جملةً وتفصيلاً بل إنه يكره الإسلام ويحاربه حرباً لا هوادة فيها ، وهو أيضاً ضد الجامعة الإسلامية .

ولم يكن الشيخ عاطف بالذي يخفي على رؤساء هذا الحزب الذين دبروا له المكائد ولفقوا له التهم حتى زج به في السجن وتعرض للنفي بعد السجن وذلك على مدى أربع سنوات عجاف حيث أبعدوه عن استانبول إلى سنوب ثم جوروم ثم إلى بوغازليان ثم إلى سنقرلو ثم أطلق سراحه بعد هذه المعاناة الشديدة التي لا يتحملها إلا أولوا العزم من الرجال .

ومضت بضع سنوات ثم كانت الطامة الكبرى في فبراير عام ١٩٢٤م حيث قام مصطفى كمال أتاتورك ( معنى أتاتورك : أبو الأتراك ) قائداً الانقلاب وأعوانه بإصدار ثلاث قرارات في غاية الخطورة وهي :

١. إلغاء الخلافة
٢. توحيد التعليم
٣. إلغاء وزارة الأوقاف والأمور الشرعية

وفي الثالث من مارس من نفس العام تم تنفيذ قرار الجمعية الوطنية ( مجلس الأمة التركي ) بإلغاء الخلافة وطرد جميع آل عثمان خارج البلاد وتم تنفيذ ذلك ليلة صدور القرار .

وفي عام ١٩٢٥م صدر قانون الملابس في تركيا والذي يحتم لبس القبعة على الرأس ويحرم لبس الطربوش وكان الشيخ عاطف قد ألف رسالته قبل صدور هذا القرار بستة عشر شهراً حول هذا الموضوع بعنوان : " تقليد الفرنجة والقبعة " .

وقد أنحى فيها باللائمة على الأمة الإسلامية التي تقلد الغرب تقليداً أعمى بأخذ القشور وكان ينفي على المسلمين أن يأخذوا ما ينفعهم فقط من المدنية الغربية وعليهم أن يطوروا أنفسهم دون التنازل عن أخلاقهم ومقدساتهم ونقول ( أي الشيخ ) لا تقرير في الأخلاق الإسلامية ولا تنازل عن الدين في سبيل التطور المادي ولا تقليد للغرب . واستجاب الناس للرجل لإخلاصه وعلمه وتقواه وجرأته في نفس الوقت .

وكان أتاتورك يرى التخلص من الطربوش نهائياً حتى قال في ذلك : " إذا أردنا أن تكون شعباً متمنداً فينبغي أن نرتدي ثياب المتmodernيين الدولية أما الطربوش فهو رمز للجهل " .

ولكن جماهير الشعب التركي لم تتلق هذا الكلام بالقبول والارتياب ، فلم يجد أتاتورك أمامه إلا أن يفرضه بالقوة الغاشمة فأصدرت الجمعية الوطنية ( مجلس الأمة التركي ) بناءً على أوامره قانوناً يحرم ويجرم ارتداء الطربوش ويعاقب من يضعه على رأسه .

وبعد يومين من صدور هذا القانون أخذ رجال الشرطة يتبعقون المواطنين في الشوارع لينتزعوا الطربايس من على رؤوسهم . وتم تشكيل محاكم أطلق عليها محاكم الاستقلال في أنقرة وفي ربوع تركيا لمحاكمة المتمردين الغاضبين من هذا القانون وقد يصل حكمها إلى السجن أو الإعدام شنقاً أو بالرصاص .  
**محاكمتة الشيخ :**

وفي اليوم السادس والعشرين من يناير عام ١٩٢٦م تم القبض على الشيخ الجليل وقدم للمحاكمة لأول مرة أمام محكمة الاستقلال لأنه أول

من كتب ضد القبعة قبل أن يصدر قانون تغيير الأزياء ولبس القبعة بستة عشر شهراً كما مر بك .

وكان تقديم الشيخ للمحاكمة نتيجة حادث يقول عنه الكاتب الكبير نجيب فاضل : " إن هذا الحادث مدبر أسوأ وأحقر أنواع التدبير ". وذلك أن شخصاً مختل العقل قام بالصياح بأعلى صوته في مدينة كيراسون التي يقيم بها الشيخ بأنه لن يلبس القبعة لأنه أرسل خطاباً إلى عاطف أفندي يسأله عن حكم ذلك فرد عليه بخطاب حول القبعة وأفتاه بتحريم الشريعة لها .

وتم القبض على هذا المختل ولما سأله الشرطة عن خطاب عاطف أفندي أجاب بأنه فقده .

بعد أن تم القبض على الشيخ أرسل إلى محكمة الاستقلال في كيراسون ثم محكمة الاستقلال بالعاصمة أنقرة .

ولما مثل الشيخ أمام المحكمة وسأله القاضي عن الخطاب الذي يزعم ذلك المختل أنه أرسله إليه أجاب الشيخ : " بأن ذلك كذب وأن الرجل لم يرسل إليه أي خطاب وبالتالي لم يكتب إليه أي شيء رداً على هذا الخطاب المزعوم . وقد طالب المدعى العام بالحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات وعندئذ طلب منه القاضي أن يكتب دفاعاً عن نفسه ليعرضه على هيئة المحكمة في اليوم التالي .

**رؤيا حق وصدق ظهر معونة الله لا ولیاته في الشدائد :**

بدأ الشيخ عاطف يكتب دفاعه عن نفسه ولكن إغفاءة أخذته أثناء الكتابة ، استيقظ بعدها مشرقاً الوجه منفرج الأسارير رابط الجأش ثم مرق الورقة التي يكتب فيها دفاعه عن نفسه .

وفي اليوم التالي سأله القاضي عن دفاعه ، فأجاب : بأنه لا حاجة لي في دفاع لأنني لم أرتكب ذنباً يستوجب الدفاع عن نفسي .

وصدر الحكم بعد ساعة واحدة وهو : الإعدام شنقاً !!

ونعود إلى معرفة سبب تمزيق الشيخ ورقة الدفاع عن نفسه وثقته بأن الحكم عليه سيكون بالإعدام حيث يذكر الأستاذ نجيب فاضل في كتابه سالف الذكر :

" حدثني الشيخ طاهر المولوي بنفسه عام ١٩٣٠م وكان يحاكم

أمام نفس المحكمة قائلاً : جلس الشيخ عاطف أفندي في السجن بعد صلاة العشاء وأخذ يكتب دفاعه عن نفسه كما طلب منه القاضي ثم أغفى قليلاً بعد أيام طويلة لم يذق النوم فيها طمعاً ، أغفى وفي يده ورقة الدفاع الذي لم يكمله ولم يستمر نومه طويلاً وفجأة فتح عينيه وارتسمت على وجهه ابتسامة عميقه ورقية وعجيبة . وسألته : ماذا حدث يا فضيله الشيخ ؟ ولماذا استيقظت سريعاً ؟ قال الشيخ : حصل المراد من النوم !!! يعني رأيت الرؤيا التي كنت أنتظرها .

فسألته : ماذا رأيت ؟

اعتلد الشيخ في مجلسه وقال : رأيت فخر الكائنات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول لي : " يا عاطف اتشغل نفسك بالدفاع عن نفسك ولا تريد اللحاق بنا " .

قال طاهر المولوى للشيخ : بماذا تفسر هذه الرؤيا ؟

قال عاطف أفندي : سيعدمونني وسألحق بحبيب الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

طاهر المولوى : لا شك في صدق الرؤيا فقط . إلا أن المدعى العمومي لم يطلب لك إلا ثلاثة سنوات !! .

عاطف أفندي : سترى أنهم سيعدمونني ولا أفهم إلا أن الأمر يأتي من أكبر الأبواب .

طاهر المولوى : ليس لدى ما أقوله .

صحيح لم يعد للكلام جدوى وهاهي ذي الورقة التي لم أتم كتابة دفاعي بها أمزقها لأن الحق بحبيب الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي اليوم التالي حكمت المحكمة على عاطف أفندي بالإعدام شنقاً على أن ينفذ الحكم فوراً فتم التنفيذ في فجر اليوم التالي ورحل المجاهد العظيم وكأنه يتمثل قول بلال رضي الله عنه : " و طرباه جداً ألقى الاحبة محمداً وحزبه " .

رحم الله الشيخ عاطف رحمةً واسعةً وألحقه بحبيبه صلى الله عليه وسلم ورفع درجته في عليين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً .

## ابن الفارض في ضوء ديوانه

الأَخْ عمر رياض \*

**ديوانه وأدبه وحبه الإلهي :**

كان ابن الفارض الصوفي شاعراً تجلت دقة حسه ورقته نفسه ورهافة شعوره في شعره كما تمثلت في ذوقه ووجوداته ، فهو جمع شخصه بين نبعين صافيين ينهل منهما ويصدر عنهما ، أحدهما نبع الوجد الروحي ، وثانيهما نبع الطبع الشعري<sup>١</sup> .

وديوان ابن الفارض ديوان شاعر صوفي عربي صميم من دم عربي صميم ، إنما يعد تصويراً رائعاً للوحدة ، وتعبيرها بارعاً عن إدراكها ، وتردیداً جميلاً لأنشودتها التي يشدو بها الشاعر الصوفي العربي في كل قصيدة من قصائده ، بل في كل بيت من أبياته<sup>٢</sup> .

إن ديوان ابن الفارض بما فيه من أناشيد الحب الإلهي وما يصوره من مراحل السلوك ودرجات المعرفة ، وما يصفه من أذواق وأحوال ، وما يدعوه إليه من إقبال على الوحدة ، ورد كل ما في الكون من صورة متكثرة وظواهر متعددة إلى مبدء واحد ، ليس من خصائص العقل العربي أو الشعر العربي في شيء ، بل هو من أخص ما يمتاز به الجنس الآري . وديوان ابن الفارض تحفة أدبية له خصائصه الفنية ، بقدر ما هو تراث روحي له قيمة الفلسفية<sup>٣</sup> .

عرف ابن الفارض بأنه شاعر الحب ، والناس في ذلك طائفتان أهل الظاهر وأهل الباطن . فأهل الظاهر هم القائلون بأنه لا يخرج عن سبيل العشاق أو الغزليين الذين وصفوا الجمال الإنساني ، ولا سيما جمال المرأة وتأثيره في نفوس المحبين . وقد عزا إليه بعضهم ، ولعله بسماع الغناء

\* باحث قسم اللغة العربية جامعة بابا غلام شاه بادشاہ راجوري ، جامو وكشمير.

<sup>١</sup> الحب الإلهي في التصوف الإسلامي ، شخصيات منتخبة ، رابعة العدوية وابن الفارض ، ص ١٩٥ .

<sup>٢</sup> المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

<sup>٣</sup> ابن الفارض والحب الإلهي ، ص ٨٥ .

من جوار له ، وأنه كان يرقص لذلك ويواحد<sup>١</sup> .

ونظر كثيرون من الناس إلى ديوان ابن الفارض وأعجبوا به ، ولعل أهـم هؤلاء ابن أبي حجلة الذي وصفه فقال فيه : " هو من أرق الدواوين شـعراً ، وأنفسها دراً بـراً وبـحراً ، وأسرعها إلى القلوب جـرحـاً ، وأـكـثـرـها على الطـلـولـ نـوـحاً ، إذـ هو صـادـرـ عنـ نـفـثـهـ مـصـدـورـ وـعاـشـقـ مـهـجـورـ وـقـلـبـ بـحـرـ النـوىـ مـكـسـورـاً "<sup>٢</sup> .

والموضوع الأساسي الذي يدور حوله شـعـرـ ابنـ الفـارـضـ فيـ دـيـوانـهـ هو الغـزلـ ، وهـنـاكـ مـوـضـوعـاتـ أـخـرىـ أـهـمـهـاـ الحـدـيـثـ عـنـ الـخـمـرـ الـتـيـ لـيـسـتـ كـالـخـمـرـيـاتـ الـمـعـرـوـفـةـ عـنـدـ أـبـيـ نـوـاسـ وـغـيـرـهـ ، بلـ إـنـهـ يـرـمـزـ فـيـهـ رـمـزاً صـوـفـيـاًـ لـاـ يـفـسـرـ إـلـاـ تـقـسـيـرـاًـ باـطـنـيـاًـ .

ولـعـلـ قـصـيـدـتـهـ الـيـائـيـةـ هيـ مـنـ أـشـهـرـ قـصـائـدـهـ التـيـ تـرـفـعـ عـلـىـ أـجـنـحةـ الـحـبـ إـلـىـ الـعـلـىـ ، ثـمـ تـذـوـبـ فـيـ الـفـضـاءـ الـوـاسـعـ تـارـكـةـ وـرـاءـهـاـ نـفـماـ لـطـيفـاـ يـرـجـعـهـ الشـعـرـ فـيـطـرـبـ السـامـعـينـ .

وـيمـكـنـ أـنـ نـقـسـمـ هـذـهـ قـصـيـدـةـ إـلـىـ عـنـوـانـيـنـ ، لـعـلـ أـبـرـزـهـاـ "ـ سـائـقـ الـأـطـعـانـ "ـ فـيـقـولـ<sup>٣</sup> :

سـائـقـ الـأـطـعـانـ يـطـوـيـ الـبـيـدـ طـيـ مـنـعـماـ عـرـجـ عـلـىـ كـثـبـانـ طـيـ فالـسـائـقـ الـذـيـ يـتـحـدـثـ عـنـ الشـاعـرـ فـيـ الـبـيـتـ الـأـوـلـ هـوـ اللـهـ تـعـالـىـ ، وـالـأـطـعـانـ النـاسـ الـذـينـ يـحـثـهـمـ الشـاعـرـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ اللـهـ تـعـالـىـ عـنـ طـرـيقـ كـثـبـاتـ طـيـ ، وـهـيـ كـنـايـةـ عـنـ الـمـاقـامـاتـ الـمـحـمـدـيـةـ الـتـيـ عـدـدـهـاـ كـرـمـالـ الـكـثـبـ .

وـلـابـنـ الفـارـضـ أـيـضاًـ قـصـيـدـةـ خـمـرـيـةـ ، شـهـيرـةـ رـائـعـةـ<sup>٤</sup>ـ .ـ وـهـذـهـ الـقـصـيـدـةـ مـبـنـيـةـ عـلـىـ اـصـطـلـاحـ الـصـوـفـيـةـ ، قـدـ مـزـجـ اـبـنـ الفـارـضـ بـيـنـ مـعـانـيـ الـخـمـرـ وـالـصـبـابـةـ .ـ فـالـخـمـرـ عـنـدـهـ رـمـزـ لـلـمـحـبـةـ إـلـاهـيـةـ ، وـالـسـكـرـ هـوـ الـدـهـشـ الـذـيـ يـصـبـبـ الـمـرـيدـ نـتـيـجـةـ الـوـجـدـ وـالـشـوـقـ لـلـمـحـبـوبـ<sup>٥</sup>ـ .ـ

وـقـدـ ذـكـرـ اـبـنـ الفـارـضـ فـيـ عـبـارـتـهـ الـخـمـرـ بـأـسـمـائـهـ وـأـوـصـافـهـ ،

<sup>١</sup> شـذـراتـ الـذـهـبـ ، ١٥٢/٥ـ .ـ

<sup>٢</sup> المـصـدرـ السـابـقـ ، ١٥١/٥ـ .ـ

<sup>٣</sup> دـيـوانـ اـبـنـ الفـارـضـ ، شـرـحـهـ عـبـدـ الغـنـيـ النـابـلـسـيـ ، صـ ١٩ـ .ـ

<sup>٤</sup> اـبـنـ الفـارـضـ وـالـحـبـ إـلـاهـيـ ، صـ ١٠١ـ .ـ

<sup>٥</sup> شـعـرـ التـصـوـفـ بـيـنـ الشـيـخـ الـجـزـيرـيـ وـابـنـ الفـارـضـ ، صـ ١٦٧ـ .ـ

ويريد بها ما أراد الله تعالى من المعرفة أو من الشوق والمحبة . فسمى بهذه التسمية لأن وصف ابن الفارض المدام أو الخمرة عبارة عن المحبة الإلهية أو المعرفة الإلهية . ومطلع القصيدة :

شرينا على ذكر الحبيب مداماً سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم  
إن الشاعر وصف المدام بالمحبة الإلهية أو المعرفة الإلهية .  
والكلمة الدالة على ذلك هي "ذكر الحبيب" ، والدلالة الأولى في قول الشيخ رشيد بن غالب من شرح البوريني والنابلي في شرح ديوان ابن الفارض ، يريد بها ما أراد الله تعالى على ألبابهم من المعرفة أو من الشوق والمحبة<sup>١</sup> . الحبيب في عبارته عن حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد يريد به ذات الخالق القديم جل وعلا ، لأنه تعالى أحب أن يعرف فخلق . فالخلق منه ناشئ عن المحبة وحيث أحب فخلق ، فهو الحبيب المحبوب والمطلوب ، والمدام المعرفة الإلهية والشوق إلى الله تعالى<sup>٢</sup> .

إن أهمية الظهور لا ترجع إلى ما تمتاز به الحياة الصوفية لابن الفارض من الفتح والكشف فحسب ، وإنما هي ترجع أيضاً ، إلى ما نظمه الشاعر فيه من شعر تبدو عليه المسحة البدوية ، وتتردد في أبياته الصور الحجازية ، ومنها القصيدة التي مطلعها :

أَبْرَقَ بِدَا مِنْ جَانِبِ الْغَوَّ لَامِعٌ أَمْ ارْتَفَعَتْ عَنْ وَجْهِ لِيلِي الْبَرَاقِ<sup>٣</sup>  
أَنَارَ الْفَضَا ضَاءَتْ وَسْلَمَى بَذِي الْفَضَا أَمْ ابْتَسَمَتْ عَمَّا حَكَتْهُ الْمَدَامُ<sup>٤</sup>  
وهذه الفترة تعتبر فترة انقطاعه عن الكشف والفتح الذي يشير إليها :

نَقْلَتْنِي عَنْهَا الْحَظْوَظُ ، فَجَدْتُ وَارَادَتِي ، وَلَمْ تَدُمْ أَوْرَادِي  
آهٌ لَوْ يَسْمَحُ الزَّمَانُ بِعُودِ فَعُسَى أَنْ تَعُودِ لِي أَعْيَادِي<sup>٥</sup>  
وَلَا يَعْرُفُ لَابْنِ الْفَارِضِ آثَارَ أَدْبَيَةٍ أَوْ صَوْفِيَّةٍ غَيْرَ دِيْوَانِهِ ، وَهُوَ

<sup>١</sup> شرح ديوان ابن الفارض من شرح البوريني الشیخ بدر الدين الحسن بن محمد البوریني والشیخ عبد الغنی بن إسماعیل النابلسی ، ٢٤٥/٢ .

<sup>٢</sup> المرجع السابق ، ٢٤٥/٣ .

<sup>٣</sup> ديوان ابن الفارض ، ص ٢٠٩ .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ، ص ٢٢٥ .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ، ص ١٨١ .

صغير الحجم ، وعدد أبياته ألف وثمانمائة وخمسين بيتاً (١٨٥٠) ، ويعد تحفة أدبية وعلى صغر حجمه من أحسن الدواوين العربية من ناحية الموضوع والأسلوب ، ويدور على موضوع واحد فهو الشعر الصوفي في الحب والخمر<sup>١</sup> .

لديوان ابن الفارض خصائص فنية وصوفية ، ولعل أظهر ما يمتاز به شعر ابن الفارض من الناحية الفنية هو الإسراف في الصناعة اللفظية أو الإغراق في المحسنات البديعية ، على سبيل المثال :

سهم شهم القوم أشوى وشوى سهم أحاظكم أحشائى شى<sup>٢</sup>

وهذا من الناحية الفنية ، أما من الناحية الصوفية : فقد كان ديوان شاعرنا ثمرة صالحة ، ذا نزعة صوفية واضحة لما امتازت به نفس الشاعر من رقة الشعور ودقة الحس وسمو العاطفة التي سيطرت على نفسه سيطرة قوية ، ومن هنا كان ديوان شاعرنا أنشودة جميلة من أناشيد الحب ، وهنالك صادقاً ردته نفس الشاعر في رياض القلب<sup>٣</sup> . وابن الفارض من أشهر الشعراء المصريين المتصوفين إطلاقاً ، وتائيته تحدد خصائص تقليده الصوفي ، ومن تائيته الفريدة :

فكل الذي شاهدته فعل واحد بمفرده لكن بحجب الأكنية  
إذا ما أزال الستر لم تر غيره ولم يبق بالأشكال إشكال ريبة  
الحب عند ابن الفارض على ثلاث مراتب :

(١) حبٌّ طبيعي : وهو حب العوام ، وغايته الاتحاد في الروح الحيوانية .

(٢) حب روحاني نفسي : وغايته التشبه بالمحبوب مع القيام بحق المحبوب ومعرفة قدره .

(٣) حب المحبة : وهي من أعلى مقامات العارفين .  
للمحبة ظاهر وباطن ، ظاهرها اتباع رضا المحبوب ، وباطنها أن يكون مفتوناً بالحبيب عن كل شيء ، ولا يبقى فيه بقية لغيره ولا لنفسه ، الواقع أن فلسفة الحب الإلهي عند المسلمين إنما هي إسلامية المنشأ والتأثير . وقد اتجهت الصوفية إلى المحبة خوفاً من ناره ولا طماعاً في

<sup>١</sup> نيكلسون ، ١٩٥١ م ، ص ١٣٧ .

<sup>٢</sup> ابن الفارض والحب الإلهي ، ص ٨٣ .

<sup>٣</sup> المرجع السابق ، ص ٨٥ - ٨٦ .

جنته ، ولكن ابتغاء وجهه الكريم وحده ، حيث تقول :

سُرُكِمْ عَنْدِي مَا أَعْلَمْ  
غَيْرَ دَمْعٍ عَنْ دَمِي  
مَظْهَرًا مَا كُنْتُ أَحْفَى مِنْ قَدِيرٍ  
مَحْدُثٌ صَانِه مِنِّي طَيِّبٌ  
عَبْرَةٌ فِي ضَجْفُونِي عَبْرَةٌ  
بِيْ أَنْ تَجْرِيْ أَسْعَى وَأَشَبَّيْ  
كَادَ لَوْلَا أَدْمَعْتُكُمْ عَنْ مَلْكِيْ  
لَهُ يَخْفِيْ حَبْكُمْ عَنْ مَلْكِيْ  
وَهَكَذَا نَرَى أَنْ فِي شِعْرِ ابْنِ الْفَارِضِ غَزْلًا يُمْكِنُ أَخْذَهُ عَلَى أَنَّهُ  
إِلَهٌ بِقَدْرِ مَا هُوَ إِنْسَانٌ ، وَيُظَهِّرُ أَنَّ الشَّطَرَ الْأَكْبَرَ مِنْ دِيْوَانِه مِنْ هَذَا  
الْغَزْلِ ذِي الْوَجْهَيْنِ ، وَيُسْتَشْنِيْ "حَلْمِيْ" عَنْ هَذَا الْحَكْمِ الْقَصِيدَتَيْنِ  
الصَّوْفَيْتَيْنِ "الْتَّائِيَّةُ الْكَبْرِيَّةُ" وَ "الْخَمْرِيَّةُ" ، مِنْ دِيْوَانِ ابْنِ الْفَارِضِ الْحَبِّ  
الَّذِي يَهْتَفُ بِهِ الشَّاعِرُ فِيهِمَا عَلَى أَنَّهُ حَبٌّ إِلَهٌ لَا شَبِيهَ فِيهِ وَلَا غَبَارٌ عَلَيْهِ .  
وَبِهَذَا الصَّدَدُ ، يَظْهَرُ لَنَا أَنَّ شِعْرَ ابْنِ الْفَارِضِ فِي حَبِّهِ الإِلَهِيِّ  
تَدْرِجُ فِيْ قَسْمَيْنِ أَوْ نَوْعَيْنِ مِنْ الْحَبِّ ؛ أَوْلَاهُمَا : الْحَبُّ الْإِلَهِيُّ الْإِنْسَانِيُّ ،  
وَثَانِيَهُمَا : الْحَبُّ الْإِلَهِيُّ الْخَالِصُ .

الأول : الْحَبُّ الْإِلَهِيُّ الْإِنْسَانِيُّ : وَهَذَا مَا نَلَاحَظُهُ فِيْ أَكْثَرِ أَشْعَارِهِ  
الَّتِي كَتَبَهَا عِنْدَمَا يَخَاطِبُ فِيهَا مَحْبُوبَتَهُ أَوْ مَحْبُوبَهُ ، فَمَثَلًا يَقُولُ :  
مَا رَأَتْ ، مَثِلَكْ ، عَيْنِي حَسَنًا وَكَمْثَلِيْ ، بَكْ صَبَّاً ، لَمْ تَرِيْ  
نَسْبُّ أَقْرَبْ ، فِيْ شَرْعِ الْهَوَى بَيْنَنَا ، مِنْ نَسْبٍ مِنْ أَبْوَيِّ  
الْخَاتِمَةُ :

ابْنُ الْفَارِضِ مِنَ الشُّعُرَاءِ الْكَبَارِ فِيِ الْعَصْرِ الْفَاطِمِيِّ الَّذِينَ أَثْرَوُا  
الْمَجَالَ الشُّعُرِيِّ فِيِ عَصْرِهِ عِنْدَمَا خَفَتِ الشُّعُورُ الْعَرَبِيُّ كَلِهِ ، وَهُوَ أَوْلَى شَاعِرِ  
اَهْتَمَ بِالشُّعُورِ الْصَّوْفِيِّ لِأَنَّ فِيْ قَلْبِهِ حَبًّا شَدِيدًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ . وَهَكَذَا نَجَدُ فِيْ قَصَائِدِهِ الْصَّوْفِيَّةِ حَبًّا لِلَّهِ وَحَبًّا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَأَمَّا مِنْ حَيْثِ الْمَضْمُونِ فَقَدْ غَلَبَ عَلَى شَعْرِهِ طَابِ التَّرْزِكِيَّةِ وَإِنَّ  
أَلْبَسَتِ مَعَانِيهِ أَثْوَابًا مِنَ الْمَعْانِي الْتَّقْلِيْدِيَّةِ فِيِ الْفَغْلِ وَالنَّسِيبِ وَالْخَمْرِيَّاتِ وَمَا  
شَابَهُهَا . فَاهْتَمَ عَلَمَاءُ التَّرْزِكِيَّةِ بِشَعْرِ عَمَرِ بْنِ الْفَارِضِ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ  
الصَّوْفِيَّةِ وَتَعَالِيمِهِمْ وَمَا تَرَدَّ فِيْ هَذَا الشُّعُورِ مِنَ الْمَعْانِي الْأُخْرَى مِنَ الْعُشُقِ  
الْإِلَهِيِّ وَمَا إِلَى ذَلِكَ . وَقَدْ عَبَرَ ابْنُ الْفَارِضِ عَنِ الْحَبِّ وَالْوَجْدِ الْإِلَهِيِّ بِصُورِ  
شَتَّى مِنَ التَّعْبِيرَاتِ الَّتِي اسْتَعَارَهَا مِنْ شُعُرَاءِ الْحَبِّ الْعَذْرِيِّ أَحْيَانًا .

<sup>١</sup> دِيْوَانُ ابْنِ الْفَارِضِ ، ص ٢٠ .

<sup>٢</sup> شَرْحُ دِيْوَانِ ابْنِ الْفَارِضِ ، ص ١١٥ .

# من الفن إلى الدعوة

محمد فرمان الندوبي

العلم والفن لهما تأثير كبير في كل عصر ومصر ، فالفن له علاقة بالجمال والقوة ، والعلم هو إبداء حقيقة من الحقائق فقط ، فالفن له ناحيتان : ناحية الألفاظ والكلمات ، وهو الأدب البليغ المؤثر ، وناحية الطرق التعبيرية من الصوت أو الرسم والتلوين وأعمال اليد والرجل ، والصناعات الأخرى ، وهو ما يُعرف بالفنون الجميلة ، فالألعاب الرياضية التي تستمر على الصعيد العالمي من الفنون الجميلة ، فلها آثار ونتائج منقطعة النظير على المجتمعات الإنسانية ، فالناس من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب مغرمون بالألعاب ، إما مشاهدة أو سمعاً ، أو مساهمة كفريق من الفرقاء اللاعبين ، ولا تزال أهمية اللعب معترف بها في حياة الأطفال ، لأنه يقوى الجسم ، وينشط البدن ، ويريح العقل والفكر ، ويعلم الطفل عدداً من المهارات الحركية ، وقد تطور هذا الفن ، فلا يستغني عنه الشباب والكهول ، وهو حاجتهم في إسعاد حياتهم وإنعاش شعوبيهم .

**بين الجد واللعب :**

إن حياة الإنسان تدور بين الجد واللعب ، فالفكاهة والمزاح فطرة الإنسان ، يحتاج إليها الإنسان في مراحل متنوعة من حياته ، وليس هذا معاكساً للشريعة والتعاليم الإسلامية ، وقد استعمل الله تعالى لنفسه كلمة الضحك في القرآن الكريم ، فقال : (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأُبَكَى<sup>١</sup>) (النجم : ٤٣) ، وقد ضحك النبي صلى الله عليه وسلم ومزح ، والصحابة الكرام رضي الله عنهم كانوا يضحكون ويمارحون ، وقد تسابق النبي صلى الله عليه وسلم مع أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها في الجري والهرولة ، مرة سبق النبي صلى الله عليه وسلم ، ومرة سبقت السيدة عائشة رضي الله عنها ، فقال صلى الله عليه وسلم : هذه بتلك (سنن

أبي داود : ٢٥٧٨ ) ، وقد ذهب النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيدة عائشة رضي الله عنه ، مرة لرؤية حرب السودان ، وهم كانوا يتراهمون النبال ( صحيح البخاري : ٩٤٩ ) ، وورد في كتب الشمائل النبوية أن أبا عمير قد مات له نفر يلعب به ، وكان حزينا ، فتسلى معه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا أبا عمير ! ما فعل النغير ! ( صحيح البخاري : ٦١٢٩ ) ، أما الرياضة البدنية فيشجع الإسلام هذا الجانب كثيرا بقوله : ( وَاعْدُوْا لَهُم مَا أَسْتَطِعُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمَنْ رَبَّاطَ الْخَيْلِ تُرْهُبُونَ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ ) ( الأنفال : ٦٠ ) ، وكان الرمي في زمن النبوة قوة كبيرة ، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ( صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ) ، هذا كله دليل أن التسلية والفكاهة لا يحظرها الإسلام ، لكن بشرط أن لا تخل بالثقافة الإسلامية ، ولا تكون عائقا دون أداء الشعائر الدينية .

في هذا الزمان أصبحت الألعاب ثقافةً وظاهرةً ، بل تجارةً على أصح تعبير ، يوسع بها التجار نطاق تجاراتهم ، ويتسلى بها المكروبون والمهمومون ، وقد توسيع هذه الدائرة ، فنالت حيزاً كبيراً في سياسة البلدان ، فتحدث مناورات سياسية ومشاكل اجتماعية ، لا بين فريق وفريق ، بل بين دولتين وقطرين ، رغم أن هذه الألعاب رياضية في معنى الكلمة ، وتترك في جسم الإنسان من آثار إيجابية ، فالبون الشاسع بين اللاعبين وغير اللاعبين هو التقوية الجسدية ، وتنمية الفكر والخيال ، أضف إلى ذلك إذا كانت الألعاب عالمية فتحصل من هذا العمل فوائد الأخوة العالمية ، والمساواة البشرية ، لا فرق بين أبيض وأسود ، وعربي وجمي ، وشرقي وغربي ، كل في ساحة واحدة ، وفي مباريات واحدة ، فالألعاب فرصة غالبة لتقديم النموذج المثالى والشخصية الصالحة ، وهي أولى وأهم من ألف خطب ومقالة ، تُلقى من على المنصات العالمية ، والقنوات الفضائية .

### لعبة mondial ( Mondial ) وما لها من نتائج :

كأس العالم لكرة القدم من أشهر المباريات العالمية وأقدمها زمناً ، ولا تزال تجري منذ زمن بعيد على الساحة العالمية ، وهي تقام بعد أربع سنوات ، لأول مرة انطلقت كأس العالم ٢٠٢٢م ( FIFA ) من بطولة

كأس العالم في العالم العربي والشرق الأوسط ، وقد استضافت دولة قطر هذه البطولة من ٢٠ / ١٨ / ديسمبر ٢٠٢٢م إلى ٢٢ / ديسمبر ٢٠٢٢م ، وتنافس فيها ٣٢ منتخبًا ، وقد قامت دولة قطر بتجهيزات كبيرة وإعدادات هائلة ، حتى إنها أسكنت لها قريةً مستقلةً ، وأنفقت لها من الدولارات والريالات ما يستلفت أبطال المعركة الرياضية ، ويسترعى انتباهم ، لكن كل ذلك باحتفاظ مزاياها الإسلامية وشعائرها الدينية ، ولم تضن قليلاً بتقديم روح الإسلام أمام الجماهير والمشاهدين ، فإن دولة قطر أعلنت بكل صراحة أمام الاتحاد الأوروبي الدولي لكرة القدم : لن نتنازل عن ثقافتنا مجرد لعبة المونديال ( كأس العالم ) ، وبحمد الله وتوفيقه حققت نجاحاً ملماساً في هذا المجال ، ففي كل ناحية من نواحي الملعب والفنادق آيات قرآنية وملصقات حديثية ، يمر المارون فيقع بصرهم عليها من دون إشعار ، فيقرؤنها وتنتقل معانيها إلى أذهانهم ، وإذا حان وقت الأذان فارتज الملعب بنداءات الله أكبر ، الله أكبر ، وتوقف اللعب ، وقد رأى هذا المنظر أبطال الكورة بأم أعينهم ، والعالم بأسره عبر التلفاز والقنوات الفضائية ، والأجهزة الإعلامية ، ولا شك أن الصلاة والأذان دليل على إيمان الرجل بقوله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالإيمان ( رواه الترمذى : ٢٦١٧ ) ، ومعلوم أن هذا المشهد نرى في فترة قد ألغيت فيها هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بعض البلدان ، ولا تزال الدكاكين والمتاجر مفتوحة وقت الصلاة ، رغم أنها كانت مغلقةً من قبل بعد الأذان ، فهنئاً لدولة قطر على إقامة كأس العالم في أرضها مع التثبت بأصولها وثوابتها الإيمانية .

#### من الفن إلى الدعوة :

السلوك الحسن والتمثيل الصادق للإسلام أكثر تأثيراً في القلوب والآنفوس ، وأكبر أدلة لإزالة سوء التفاهم والأغلوطات والمفاهيم الخاطئة عن الإسلام ، وقد انتشر الإسلام به في العالم كله من أقصاه إلى أقصاه ، وهو أحسن أسلوب للدعوة إلى الله تعالى ، فإن كل مسلم مسؤول عن هذه الدعوة : بقوله وعمله وسلوكه وتعاملاته ، وقد مثل الدعاة المخلصون هذا الأسلوب في الزمن القديم ، قلماً تخلو دولة من دول العالم إلا وقد وصلت إليها تعاليم الإسلام ، هذا الأسلوب قد جذب قلوب العرب

الجاهليين إلى الإسلام كجذب المغناطيس القطع الحديدية إليه ، فإنهم رأوا من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخلاق والسير المثالية ما لا يمكن رفضه ، كذلك قبائل العرب وغير العرب لما رأوا من المسلمين تعاملهم الحسن انضموا إلى جماعاتهم واعتقو بالإسلام ، وكفانا فخرًا أن التتر الوحش الذين دمروا عاصمة الخلافة الإسلامية تدميرًا ، ولم يخطر على بال أحد أنهم سينهزمون ويفشلون في هذه المعركة القتالية ، لكن لما رأى ولـي عهدهم أحداً من الدعاة المخلصين ، وسمع منه ما سمع ، فكان أمر الله قدراً مقدرواً ، بحيث أسلمت هذه الثلة الكبيرة ، ودخلت في دين الله أزواجاً ، هذا نموذج ومثال لتقديم دعوة الإسلام أمام الآخرين ، فالإيمان إذا خالطت حلاوته بشاشة القلوب فلا يمكن أن يتخلّى عنه أحد ، وقد شهد بذلك هرقل لدى لقائه مع أبي سفيان : وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطاً على دينه بعد أن يدخل ، فأجبت : لا ، وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب ( صحيح البخاري ، باب كيف كان بداء الوحي ) .

#### رب قول أنفذ من صول :

هذا الزمن زمن العلم والإعلام ، وقد شاع في هذا العصر سوء التفاهم عن الإسلام ، وتوجد في بعض الأذهان صور قبيحة للإسلام ، وقد أدى الإعلام ووسائله في ذلك دوراً سيئاً ، أما المستشرقون والملحدون الذين يبذلون جهودهم في تشويه سمعة الإسلام فحدث عن البحر ولا حرج ، فكلما سمع أحد اسم الإسلام أو رأى مسلماً قطب جبينه وتغير وجهه ، وليس هذا بداعاً من الأمر ، فقد وجد منذ أول تاريخه الصراع بين الكفر والإيمان ، فأكبر سلاح لتغيير وجهة النظر هو استغلال الفرص العامة لتقديم دعوة الإسلام ، وشرح مفاهيمه ، وإعادة الثقة بالإسلام في الأجيال الناشئة ، بحيث لا يخطر على بال السامع أن صاحبه يدعوه إلى الإسلام ، وقد شرح أماته الموضوع بكامله ، فاستعمال الفنون الجميلة لأمثال هذه الأعمال حاجة الساعة ، وكلما كان استعمالها أكثر كان أثراها أقوى وأحسن ، والواقع أنزيد به جفاءً ، وبالباطل يكون زاهقاً ، والحق يعلو ، ولا يعلى عليه ، قال تعالى : ( هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُلُّهُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ) ( الفتح : ٢٨ ) .

## قرارات الندوة الفقهية حول قضايا كورونا والقروض الحكومية مجمع البحوث والدراسات الشرعية التابع لندوة العلماء بالقاهرة

تعریف : الأستاذ محمد علي شفيق الندوی \*

### أولاً : القرارات المتعلقة بكورونا :

تمعید :

ظللت الأوبئة والجوائح تنتشر عبر تاريخ البشرية في شتى الأزمنة والبقاء ، وقد تسببت في مقتل ما لا يحصى من البشر ، وتركت وراءها آثاراً عميقاً وبعيدة المدى على المجتمع البشري ، والغالب أن الأوبئة تقصر على منطقة أو بلد وقعت فيه ، ولكن جائحة كورونا ( كوفيد - ١٩ ) القاتل حطم الأرقام القياسية السابقة ، فقد تأثر العالم كله تقريباً بهذا الوباء ، ومات عدد كبير من الناس ، حتى توقيف النظام على مستوى العالم ، وتأثر كل مجال من مجالات الحياة بصورة سيئة .

وقد نشأ بسبب هذا الوباء العديد من المسائل الشرعية المستجدة ، والتي أصدر فيها العلماء فتاوى بصورة فردية ، فقاموا بإرشاد المسلمين وتوجيههم شرعاً .

وان المشكلات الناشئة عن وباء كورونا لم تكن ذات طبيعة معتمدة يمكن حلّها والإفتاء فيها بمجرد النظر في الجزئيات الفقهية المنصوصة ، وإنما كانت مشكلات وأسئلة ظهرت لأول مرة ولم تخطر على بال .

ومن جهة أخرى لم يكن ممكناً لأهل العلم وأصحاب الإفتاء أن يجتمعوا في مكان واحد ، ويتقاشفوا في هذه الأمور بشكل جماعي ؛ لفرض الحظر عن ذلك في ظل خطورة مرض كورونا ؛ لذلك استمرت الفتاوى والتوجيهات الفردية في الظهور ، وكانت أحياناً تتناقض وتعارض فيما بينها .

وبناءً على احتياج المجتمع ومتطلبات الظروف قرر مجمع البحوث والدراسات الشرعية التابع لندوة العلماء بكلناؤ عقد ندوة فقهية حول قضايا كورونا . وكأول خطوة تم إعداد استفتاء شامل حول قضايا ومسائل كورونا ، وإرساله إلى نخبة من العلماء وأصحاب الإفتاء ، وبحمد الله قام كثير من أهل العلم والإفتاء بالإجابة على الاستبيان المرسل بعد البحث والدراسة .

وبعد عودة الأوضاع إلى طبيعتها ، حدد المجمع يومين : ٢٣ و ٢٤ نوفمبر ٢٠٢٢م لعقد ندوة حول قضايا كورونا ، وبحمد الله انعقدت الندوة في موعدها المقرر ، بقاعة ( العالمة حيدر حسن خان الطونكي رحمه الله ) في جامعة ندوة العلماء . وبعد

\* أستاذ الفقه الإسلامي بدار العلوم لندوة العلماء .

النظر في المقالات والفتاوی التي وردت ، وبعد المناقشة المتبادلة بين المشاركين ؛ تم إصدار القرارات التالية بالإجماع :

**أولاً : جائحة كورونا من منظور الشريعة :**

١. الوباء مرض ينتشر سريعاً ، ويحتاج مناطق سكنية بأكملها ، وغالباً ما يكون قاتلاً . تحدث عنه الكتاب والسنة بوضوح ، والأوبئة قد تخرج عن معاصي بني آدم وأثامهم ، وأحياناً يبتلى بها الإنسان امتحاناً ، فهي تحذير إلهي في جميع الأحوال ؛ عندما يعاني الإنسان من وباء ، فإنه يستحق التعاطف والدعم .
٢. في الشريعة الإسلامية إرشادات وتوجيهات للاحتراز والوقاية من الأوبئة ، والتي تشمل إجراءات ظاهرة ، مثل العناية بالنظافة ، وتجنب التنقل من مكان إلى آخر من غير ضرورة ، واتباع تعليمات الأطباء والخبراء ، وكذلك تشمل إجراءات باطنية ، مثل : الاستغفار والدعاء والتوبة والرجوع إلى الله والتصدق ونحو ذلك .
٣. لم يثبت في الكتاب والسنة القيام بالصلوة الجماعية للوقاية من الأوبئة .
٤. المرض والشفاء بيد الله تعالى ، وإنما يصاب الإنسان بمرض أو يتعاافى منه بإذن الله ، ولكن بعض الأمراض معدية ، وهذا لا يتعارض مع مفهوم التوحيد في الإسلام .

**ثانياً : ما يتعلق بتخفيف العبادات في زمن جائحة كورونا :**

٥. إذا منع الناس عن إقامة صلاة الجمعة في المساجد زمن الوباء ، ينبغي أن يصلوا في منازلهم بدلاً من المساجد ، بجماعة أو بأفراد .
٦. خلال فترة الوباء ، إذا نصح خبراء الصحة بعدم التجمع بأعداد كبيرة ، يسمح للمصلين أن يقيموا الجمع والجماعات في المسجد على التوالي ، بتغيير الهيئة بعد الجمعة الأولى .
٧. في ظل التعليمات الطبية والحكومية بعدم التجمع خلال فترة الوباء ، تصبح إقامة صلاة الجمعة والعيدان في أماكن ومنازل مختلفة علاوة على أدائها بالمسجد .
٨. خلال فترة الوباء ، يصح لمن يرغبون إقامة صلاة الظهر في بيوتهم يوم الجمعة بسبب القيود أن يصلوا بجماعة كما لهم أن يصلوا فرادى .
٩. بناءً على التعليمات الطبية ، يجوز أداء الصلاة مرتدياً القناع والكمامات ، كما يجوز ترك مسافة للتباعد بين الصفوف .
١٠. يحظر المصابون بكورونا من الحضور في المسجد والمشاركة مع المصلين في الجمعة .
١١. يسمح للمصابين بكورونا بعدم الصيام بناءً على إرشادات الأطباء .

**ثالثاً : المسائل المتعلقة بالمساجد في زمن كورونا :**

١٢. المساجد بيوت الله ومن الأماكن المقدسة ، أمرنا بإعمارها في جميع الأحوال ؛

فلا يجوز إغلاق المساجد بشكل كامل في زمن كورونا أو أي وباء آخر .

١٣. يلزم رفع الأذان في وقته وإن توقفت صلاة الجمعة في المسجد لسبب ما .

١٤. من مطالب الشريعة كثرة المصلين ، ومع ذلك ، إذا أكره الناس على تحديد العدد المسموح لحضور صلاة الجمعة بسبب تعليمات الحكومة بسبب الوباء ، فيجب اتباع ذلك .

١٥. احتراماً للمسجد وقدسيته ، لا يجوز استعمال أي جزء من المسجد كمركز لعلاج مصابي كورونا .

#### **رابعاً : تمريض مصابي كورونا :**

١٦. عزل المصاب بكورونا وعدم تمريضه مخالف للشريعة والإنسانية .

١٧. إذا لم يستطع المصاب بكورونا تحمل نفقات العلاج ، فمن مسؤولية الأقارب ترتيب علاجه وعدم تركه بلا عنون ، وإذا لم يتمكنوا من تحمل تكاليفه أو إذا كانوا مهملين ، فعلى الحكومة والمجتمع مسؤولية تمريضه ورعايته .

#### **خامساً : ما يتعلّق بتغسيل موتى جائحة كورونا وصلاة الجنازة عليهم :**

١٨. إذا تغدر غسل الميت أو تيممه بسبب القيود المفروضة خلال فترة كورونا ، تسقط فرضية الغسل والتيمم لكن يصلى عليه صلاة الجنازة .

١٩. إذا كان المتوفى بكورونا في الغلاف ولم يتغدر تكفينه وفق السنة ، لزم تكفينه على الغلاف ، وفي حالة التغدر يكون الغلاف في حكم الكفن .

٢٠. إذا كان المتوفى بكورونا قد دُفن بلا صلاة الجنازة ، يجوز أن يصلى على قبره ما لم يغلب على الظن تغييره .

٢١. إذا دُفن الميت بلا صلاة الجنازة ولم يعرف مكان قبره ، يجوز أن يصلى عليه صلاة الغائب .

٢٢. من مات بسبب وباء كورونا من المسلمين فإنه يستحق أجر الشهادة بإذن الله .

#### **سادساً : المسائل المتعلقة بلقاح كورونا :**

٢٣. بياح استخدام المعقم الذي يحتوي على الكحول .

٢٤. لقاح كورونا هو نوع من الأدوية وإجراء وقائي ، يجوز أخذه عند اللزوم .

#### **ثانياً : القرارات المتعلقة بالقروض الحكومية وغيرها بقيادة :**

##### **تمكيد :**

إن تقديم القروض للمحتاجين بدون فوائد من أجل أعمال البر ، وقد رغب فيه الشرع المطهر ، ووعد على إقراض المال للمحتاجين بأجر كبير ، وكأنه توقفت عملية منح القروض في العصر الحالي ، ونادرًا ما يكون هناك أشخاص لديهم فائض مالي ويقدمون القروض للمحتاجين دون اشتراط الفائدة .

ومن الأهمية بمكان ترغيب المسلمين في القيام بهذا العمل الخيري وتوجيههم إلى أهميته ؛ حتى لا يضطر المحتاجون إلىأخذ قروض ربوية ، وبالتالي يعرضون

حياتهم وممتلكاتهم ، وشرفهم وكرامتهم ، ودينهم وإيمانهم للخطر ؛ بأخذ تلك القروض الربوية .

يضرر المحتجون إلىأخذ قروض ربوية ، ولا يعرضون حياتهم وممتلكاتهم وشرفهم وكرامتهم ودينهم وإيمانهم للخطر . بأخذ قروض ربوية .

وكان قد عقد مجمع البحوث والدراسات الشرعية التابع لندوة العلماء ، ملتقى فقهياً في عام ١٩٧١م حول موضوع القروض الحكومية ، وكتب العديد من العلماء البارزين وأصحاب الإفتاء في ذلك الوقت أجوبةً على الاستفتاء الصادر بهذه المناسبة ، ولكن لسبب ما لم يتم التوصل إلى قرار في هذا المجلس ، وتم تأجيل الموضوع .

وفي هذه الندوة الفقهية المنعقدة من قبل مجمع البحوث والدراسات الشرعية - ندوة العلماء ، لكناؤ ، والتي استمرت يومين ٢٣ و ٢٤ نوفمبر ٢٠٢٢م ، تمت مناقشة هذا الموضوع مرة أخرى ، ووضع المشاركون نصب أعينهم تلك الفتوى والكتابات التي جاءت في ذاك الملتقى الفقهي لعام ١٩٧١م ، وكذلك التوصيات التي نوقشت بين المشاركين آنذاك ، وكذلك المقالات والكتابات الجديدة التي وردت في الندوة الفقهية الأخيرة ، كما تمت مناقشة التغيرات التي طرأت على القروض الربوية الحكومية والقروض الربوية للبنوك من عام ١٩٧١م إلى ٢٠٢٢م في هذه الندوة الفقهية .

في ضوء كل هذه المناقشات التفصيلية ومداولة الآراء تم اتخاذ القرارات التالية باتفاق المشاركين :

١. إنّ أخذ أكثر مما أقرض ربا ، وقد صرّح بحرمة الكتاب والسنة ؛ لذا دفع مبلغ زائد وأخذه كلاهما حرام ، نعم لو افترض أحد ، فدفع أكثر مما أخذ برغبته من غير شرط ولا عرف ، فهذا أمر مستحب .
٢. الاقتراض بغير ضرورة ممارسة غير مرغوب فيها في الإسلام ، وإذا تم الحصول على قرض من فرد أو مؤسسة وجب على المقترض سداد القرض في موعده ، وبذل قصارى جهده من أجله ، والتأخير في سداد القرض عن الوقت المحدد بالرغم من القدرة لا يجوز .
٣. يجب على المسلمين بشكل فردي وجماعي إنشاء نظام أو آلية يسهل تقديم القروض بدون فوائد للمحتاجين .
٤. إذا تعذر الحصول على قروض بدون فوائد بأي شكل من الأشكال ؛ فلا بأس بأخذ قروض بفائدة بقدر الحاجة ، وذلك عند الحاجة الماسة ، على سبيل المثال : الإكراه القانوني ، وحفظ المال والأراضي والممتلكات ، وتأمين السكن بقدر الكفاية ، والحصول على التعليم ، وحماية التجارة ، والعلاج ، ونحو ذلك من الأغراض .

## (١) الأستاذ فضل الرحمن الندوبي إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

انقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ فضل الرحمن الندوبي في ٢١ / ٥ / ١٤٤٤ هـ ، الموافق ١٦ / ١٢ / ٢٠٢٢ م بعد ما ظل طريح الفراش إلى سنوات ، بالغاً من العمر ٦٨ عاماً ، وقد صلى عليه كاتب هذه السطور مع عدد كبير من العلماء وطلبة العلم في رحاب ندوة العلماء ، وتم دفنه في مقبرة دالي غنج ، فإننا لله وإنما إليه راجعون .  
كان الأستاذ فضل الرحمن الندوبي مسؤولاً مكتبة دار العلوم لندوة العلماء إلى مدة ، وكانت له مهارة في الأمور الإدارية ، ثم التحق بجمعية دعوية في لكتناؤ ، وقضى هنا عشرين سنة ، مشغلاً بأعماله بكل دقة وأمانة ، وكان من زملاء الأستاذ السيد محمد حمزة الحسني الندوبي رحمة الله واسعة ، كما كان الأستاذ زوج أخت الأخ العزيز أحمد ميان (أيم ، اے) أحد الموظفين في إدارة دار العلوم المالية .

خلف الأستاذ فضل الرحمن الندوبي وراءه زوجة وأربعة أبناء وست بنات ، ونحن إذ نعزي أسرته ، ندعوه أن يغفر له زلالته ويسكنه فسيح جناته ويجعل الجنة مثواه .

## (٢) الأستاذ محمد عظيم خان الندوبي إلى رحمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بالأستاذ محمد عظيم خان الندوبي في ٢٠ / ٦ / ١٤٤٤ هـ ، الموافق ١٣ / يناير ٢٠٢٢ م ، ليلة الجمعة في الساعة الثالثة ، فإننا لله وإنما إليه راجعون .  
كان الأستاذ محمد عظيم خان الندوبي مريضاً منذ سنوات ، فأدخل في مستشفى ، لكنه لم يُقدر له الشفاء فقاد إلى رحمة الله تعالى ، ظل الأستاذ محمد عظيم خان مدرساً للعلوم الإسلامية في جامعة ندوة العلماء ، وكان يُعرف بحسن خلقه ونبيل سيرته ، يُربى الطلبة ويعليمهم مِكارم الأخلاق ، وقد عُين مشرفاً على أحد أروقة جامعة ندوة العلماء ، فكان خير مرب ومشرف .

ينتمي الأستاذ محمد عظيم خان الندوبي إلى قرية مهادا في مديرية بهرائش ، بولاية أترابراديش ، الهند ، وقد درس في دار العلوم لندوة العلماء ، وكانت له علاقة بالشيخ الفاضل محمد معين الندوبي (نائب رئيس ندوة العلماء سابقاً) ، كما كان يزور القرى والأرياف للدعوة إلى الله ، وقد قام بالتدريس في عدة مدارس ، ثم انقل إلى ندوة العلماء وظل مدرساً فيها إلى أن تقاده نظراً إلى انحراف صحته .  
خلف وراءه أسرة من الأهل والأولاد ، ندعوه الله أن يرحمه رحمة واسعة ، ويففر له زلالته ، ويسكنه فسيح جناته .

## (٣) الأستاذ شبير أحمد الندوبي في ذمة الله تعالى

الأستاذ شبير أحمد الندوبي مسؤولاً وأستاذ معهد دار العلوم لندوة العلماء أكبر أنجال الحاج عبد الرزاق النصيري آبادي (الذي لازم الإمام الشيخ السيد أبا الحسن علي الحسني الندوبي منذ شبابه إلى وفاته ، وخدمه خدمة مخلصة) أصيب

بمرض دام سنوات ، وقد فسدت كلية ، فجرت معالجته في أحد مستشفيات لكانؤ ، لكنه لم يكتب له الشفاء ، فما جأاته المنية في ٧ / جمادى الثانية ١٤٤٤ هـ ، الموافق ٢٠٢٢ / ديسمبر ، فإن الله وإننا إليه راجعون .

كان الأستاذ شبير أحمد الندوى من ٨ / يونيو عام ١٩٦٢ م ، درس في دار العلوم لندوة العلماء ، وتخرج منها ، وبعد تخرجه التحق بصحيفة الرائد الصادرة من ندوة العلماء ، وظل ثمانى سنوات في مكتبتها يترجم الآباء والأخبار ، ثم انتقل إلى المعهد الثانوي لدار العلوم لندوة العلماء ، فكان فيه مدرساً منذ عام ١٩٨٧ م ، وبعد عدة سنوات ألت إليه مسؤولية الإشراف على المعهد ، فأداه بأحسن ما يمكن ، وقد أنشأ عدة كتاتيب دينية في قريته ، كما أسس جمعية باسم جمعية خوشحال التعليمية والخيرية ، وقد نشر مجموعة قيمةً للمقالات حول حياة والده الجليل الحاج عبد الرزاق النصيري آبادي رحمة الله .

وقد صلى عليه مع جماعة كبيرة في رحاب ندوة العلماء سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوى رئيس ندوة العلماء العام ، خلف وراءه أسرة حافظة بالأهل والآباء والبنات ، ومن أبنائه الأخ محمد حمزة ، الأخ محمد زبير الندوى ، الأخ محمد بشير الندوى ، والأخ محمد عبيد .  
غفر الله له ، ورحمه رحمة واسعة ، وأدخله في جنات النعيم ، وألهم أهله الصبر والسلوان .

#### (٤) والد الطبيب محمد عامر جمال إلى رحمة الله تعالى

توفي الطبيب الحاج عبد الباقي والد الأستاذ الطبيب محمد عامر جمال بالغاً من العمر ٧٨ عاماً في ٨ / جمادى الثانية ١٤٤٤ هـ ، الموافق ١ / يناير ٢٠٢٣ م ، وقد صلينا على جنازته في منطقة خرم نفر ، وتم دفنه في مقبرة هذه المنطقة ، فإن الله وإننا إليه راجعون .  
الأستاذ الطبيب عامر جمال (رئيس مؤسسة أحسن) من أطباء مدينة لكانؤ ، وهو يدير مستشفى عمرو في نفس المدينة ، يعالج المرضى ، ويداويهم بغية من الإخلاص والصبر ، وقد وضع الله في يديه الشفاء ، وقد أنشأ مؤسسة أحسن بمنطقة لكانؤ للأعمال التعليمية والخيرية ، كما أنشأ منظمة المساجد لنشر رسالتها في المجتمعات الإنسانية ، فإنه قد أصيب بحادثة وفاة والدته قبل تسعه شهور في شهر رمضان الماضي ، ولم ينته هذا المصاب إذ أصيب بوفاة والده الكريم ، رحمة الله رحمة واسعة .

كان الطبيب عبد الباقي من مدينة برتاب غرب بولياه أترا براديش ، وكان مواطناً على الصلوات المفروضة والتواقيل ، وقد تشرف بفرضية الحج عام ٢٠٠٩ م ، كما كان يجالس العلماء الربانيين وبزيورهم حيناً آخر ، وقد زار ندوة العلماء عدة مرات ، ولقي مشايخها وعلماءها ، ويقرأ كثيراً من الكتب الدينية ، ويطالعها ، وقد ربى نجله العزيز الأستاذ محمد عامر جمال تربية صالحة ، فهو على خلال من الإيمان والعمل الصالح ، وحب العلماء ، بارك الله في حياته وألهمه الصبر الجميل .  
ونحن إذ نعزي الأستاذ محمد عامر جمال على هذا الحادث ندعوا الله أن يغفر لوالده مغفرة تامة ، وينزل عليه شائب رحمته ، ويسكنه فسيح جناته .

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341  
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2021 To 2023  
Published on: 3rd of Every Month  
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

Monthly

Despatch Date: 5,6,7  
ISSN 2347-2456  
Per Copy. Rs. 40/-  
Annual Subs. Rs. 400/-

# AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 69 Issue. No.02, February 2023

إصدارات حديثة

الأخذاع المعاصر  
وطرق معالجتها

سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني التدويني

تعریف  
د. محمد فرمان التدوینی

الناشر  
المجمع الإسلامي العلمي  
ندوة العلماء، لكتاؤ (المهند)

Academy of Islamic Research & Publications  
Nadwatul Ulama, P. O. Box No. 119 Lucknow. 226007 U.P. India  
Ph. No. 0522-2741539, E-mail: airpnadwa@gmail.com

Printed & Published by MOHAMMAD TAHAA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat  
at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.

Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI